الندوة العلمية الدولية الحادية عشرة

إنسانية الإنسان في السنة النبوية

قيم كونية وضوابط شرعية

مُلخَّصات البُحوث

2023/3/9-8 م

الحمدُ لله ربِّ العالمين، والصّلاة والسّلام على رسوله الأمين، وعلى آله وصحبه ومن تَبِعَهُم بإحسانٍ إلى يو م الدّين، أمّا بعدُ؛

فتَزَامُنًا مع انطلاقِ فَعاليَّاتِ الدَّورةِ العلميَّةِ الدَّوْلِيَّة الحَاديةَ عَشرةَ لنَدْوةِ الحَديثِ الشَّريف، الّتي تَشْرُفُ بافتتاحِ معالي جمعة الماجد حفظه الله، يَسُرُّ مركزَ بحوثِ السُّنَّةِ النَّبَويَّة، أنْ يَزُفَّ إلى عُمومِ البَاحِثين صدورَ كتابٍ يَضُمُّ بين عِطْفيهِ مُلَخَّصاتٍ تسعةَ عشرَ بحثاً، بعدَمَا اجتازَ أَصْلُهَا ثلاثَ مراحلَ من التَّدقيقِ والتَّحْكيم، وذلك وَفْقًا لِلْمَعَاييرِ الأَكَاديمِيَّةِ المُتَّبَعَةِ في المَجلَّاتِ العِلْميَّةِ المُحَكَّمَة.

ورَغْمَ كونِ هَذه البحوثِ لم تَستوعبْ جميعَ مَحاورِ النَّدْوةِ المُعْلَنِ عنها، فإنها أَسْهَمَتْ في تحقيقِ أهمِّ أَهْدَافِها، على تفاوتٍ بين مَوضوعَاتها، وطريقةِ مُعالجتها. فَكَشَفتْ عن العنَايَةِ الشَّاملَةِ للسُّنَّةِ النَّبَويَّةِ بالإِنْسَان، من خِلَالِ بِنَاءِ مَنْظُومَةٍ مُتَكَاملَةٍ ومُتَوَازِنَةٍ؛ تَضُمُّ العقائدَ والأحكامَ والقِيَمَ والضوابطَ والضَّماناتِ، ليَظلَّ الإنسانُ على إنسانيّته وفِطْرته الّتي خُلِقَ عليها مُكَرَّمًا، في عَلاقته بِذَاته وبمحيطه، حَيًّا ومَيِّتًا.

ومن أَبْرزِ النَّتائجِ الَّتي أَثَّثَتْ هَذِهِ الملَخَّصَاتِ:

- رِيَادَةُ السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ في بِنَاءِ مَنْظُومَةٍ مُتكاملةٍ ومُتَوازِنَةٍ لِبِنَاءِ الإنسان.
- اسْتِجْلاءُ المَجَالَاتِ التي هِيَ أَكْثَرُ بُرُوزًا لإِنْسَانِيَّةِ الإِنْسَانِ في السُّنَّةِ النَّبَوِيَّة.
- الضَّوابِطُ والضَّمَانَاتُ لِلْحِفَاظِ عَلَى إِنْسَانِيَّةِ الإِنْسَانِ في السُّنَّةِ النَّبَوِيَّة.
- أَسْبَقِيَّةُ السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ في تَكْرِيمِ إِنْسَانِيَّةِ الإِنْسَانِ بِوَصْفِهِ جَوْهَرَ المخلوقات.

وَأَمَّا أَصْلُ هَذه الملخَّصَات، من البُحُوث المعَدَّلَة وَفْقًا لملاحَظَات لَجنَة التَّحْكيم لِنَدْوة الحديث الشَّريف، فَسَوْفَ تُعْرَضُ عَلَى هَيْئَة التَّحْرير لمجلَّة "المَوْئل"، العلميَّة المحكَّمَة، والَّتي تصدُر عن كُليَّة الدِّراسات الإسلاميَّة، بجامعة الوَصْل، لِيُنْشَرَ في عَدَدِها الثَّاني ما يَسْتوْفي منها شُروطَ المجلَّة، وما تَبَقَّى منه من البحوث سَيتمُّ نَشْرُه - إن شاء الله - في كتابٍ إلكترونيّ خاصٍّ بندوة الحديث الشَّريف.

وممّا يجدُرُ التَّنْويهُ به، أَنَّ تَقَاريرَ المحكّمين عَن الأَبْحَاث المقدَّمَة إِلَى المركْز، لَفَتَتْ الانْتبَاهَ إلى أَنَّ مَجَالَ البحْث العلميِّ في السُّنَّة النَّبَويَّة وعلومها، لا يَزَالُ خَصْبًا، يَتَطَلَّعُ إِلَى عُقُول مُنْتجَة، وَأَقْلَام مُبْدعَة، للوُقُوف عَلَى ثَرَاء الحكَم وَالقيَم في نُصُوص السُّنَّة النَّبَويَّة التي تُعَدُّ جَوَامِعَ الكَلِم، وحُلُولٍ فَاعلَة، لمُعْضلَات الحياة المستجدَّة.

ولا يَسَعُني، بَعْدَ هَذا، إلَّا أن أُزْجيَ الشُّكْرَ، خَالصًا عَطرًا، لمعَالي جمعة المَاجد، رَئيس مَجْلس أُمَنَاء جَامعَة الوَصْل، وسَعادة الأستاذ الدكتور محمّد عبد الرّحمن، مُدير جَامعَة الوَصْل، ولكلِّ الباحثين، الَّذين سَعَوا لإثْرَاء فَعاليَّات هَذه الدَّورة، بدراساتهم وأفكارهم، ولكلِّ مَنْ أَسْهَم في الإعدَاد لهذا المحْفَل العلْميِّ المتميِّز، أو أَسْدَى عوناً أو معروفاً لإنجاح هذه الدَّورة، وآزر المركزَ في مَسَاعيه العلميَّة والتَّنْظيميَّة، مُؤازَرَةً تُلهبُ جَذْوةَ الاستمرار، وتُقوِّي جَلَدَ المتابعة...

وآخرُ دَعوانا أن الحمدُ لله ربِّ العالمين.

أ. د. حمزة عبدالله المليباري

مدير مركز بحوث السنة النبوية

الفهرس

اليوم الأول الجلسة العلمية الأولى	صفحة
الضوابط الفكرية لإنسانية الإنسان – دراسة في ضوء السنة النبوية / د. عصام الدين أحمد محمد بابكر	٧
الضمانات الأساسية لتحقيق حقوق الإنسان – دراسة في منظور الحديث النبوي / د. عمر بو راس	١٥
الحرية الإنسانية ودور السنة النبوية في السمو بها / د. عوض إبراهيم منصور بابكر	٢٣
دور البناء الاجتماعي وفلسفة التّاريخ في إبراز إنسانيّة الإنسان من خلال السنّة النّبويّة / د. فراس بن ساسي	٣١
الجلسة العلمية الثانية	
إنسانية الإنسان في السنة النبوية – التعامل مع الغير نموذجًا / د. هدى حسن صديق عبد السلام	٣٧
مجالات إنسانية المرأة في السنة النبوية / أ . د. هند بنت مصطفى بن محمد الطيب شريفي	٤٥
منظومة القيم مدخل أساسي لبناء إنسانية الإنسان في السنة النبوية / د. خديجة بوسبع	٥٣
تغيير الخلقة الإنسانية. .التحديات والحلول – دراسة في السنة النبوية / د. سهام عومارة	٦١
اليوم الثاني الجلسة العلمية الأولى	
إنسانية الإنسان في ضوء السنة النبوية وتطبيقاتها في مجال العلاقات الدولية: النزاعات المسلحة نموذجًا / أ. د. سيد حسن عبد الله حسن عبد الله	٦٧

القيم الإنسانية في التعامل مع المعسر وأثرها في بناء مجتمع متكافل / د. محمد ضاحي عبد الرؤوف حافظ	٧٥
إنسانية اليتيم في السنة النبوية . . دلالات إعجازية / د. محمود ضاحي عبد الرؤوف	٨١
إنسانية محمد (ﷺ) ومهاراته في التواصل مع الأطفال (نماذج مختارة) / أ. د. بولمعالي النذير	٨٩
الجلسة العلمية الثانية	
أثر التسول في إهدار كرامة الإنسان ودور السنة النبوية في مواجهته / د. عماد حمدي	٩٥
نماذج من المنهج النبوي في بناء السَّواء وحماية إنسانية الإنسان / د. كلثم عمر الماجد المهيري	١٠١
مبدأ الإنسانية في السنة النبوية وأثره في حسن تنشئة الولدان ورعاية الضعفاء والرفق بالحيوان / د. حمده خلفان بالجافلة المنصوري	١٠٩
إنسانية الإنسان في السنة النبوية. .القيم والروابط الأسرية نموذجًا / د. ليلى أحمد سالم المشجري	١١٥
الجلسة العلمية الثالثة	
المنهج النبوي في تعزيز إنسانية الإنسان للتعامل مع غير المقاتلين في الحروب / د. أنس سليمان المصري	١٢١
تفعيل القيم الإنسانية من منظور السنة النبوية بين تنوع المقاربات ودعم المرجعيات / د. رقية بوسنان	١٢٧
مبدأ إنسانية الإنسان من خلال الأدب المفرد للإمام البخاري – موازنة تحليلية بين المعالجة النبوية والمقاربات الفلسفية الحديثة / د. أحمد مجيد علي ذيب	١٣٥

الضوابط الفكرية لإنسانية الإنسان

دراسة في ضوء السنة النبوية

د. عصام الدين أحمد محمد بابكر

جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية – السودان

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه

وبعد...

فقد أحببت المشاركة ببحث عنوانه: «الضوابط الفكرية لإنسانية الإنسان، دراسة في ضوء السنة النبوية»، وتأتي فكرة البحث في كونه يتطلع إلى طرح أُطُر وقواعد كلية توضح الضوابط الفكرية التي ينبني عليها تكريم الإنسان، ومن ثم تحدد مجال حريته الشخصية في حيز المجتمع المتماسك، من خلال ما ورد في السنة المطهرة عن الإنسان المستخلف المأمور بعمارة الأرض وإصلاحها.

أبتدئ البحث بتأكيد أنه كلما ارتقى الإنسان في مراقي العبودية؛ كرُم وزادت حريته؛ وذلك لأن العبودية هي الغاية من وجود الإنسان في هذه الحياة الدنيا، ولكن الناس- وبسبب عدوان بعضهم على بعض، وبسبب تعلق ابن آدم بمغريات الدنيا- يقع كثيرون منهم في شَرَكِ العبودية، وشِرْكِ العبادة، وقد كان يقال: العبد حر إذا قنع، والحر عبد إذا طمع، ومن خالف هذه القناعة فإنه معرضٌ نفسَه لدعاء الرسول ﷺ عليه في قوله: (تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ، وَالدِّرْهَمِ، وَالقَطِيفَةِ، وَالخَمِيصَةِ، إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ لَمْ يَرْضَ)، وصدق من قال: أطعت مطامعي فاستعبدتني... ولو أنّي قنعت لكنت حرًّا، فمن (أَخْرَجَهُ اللهُ مِنْ ذُلِّ الْمَعْصِيَةِ إِلَى عِزِّ التَّقْوَى أَغْنَاهُ اللهُ بِلَا مَالٍ، وَأَعَزَّهُ بِلَا عَشِيرَةٍ، وَآنَسَهُ بِلَا أَنِيسٍ)..

ثم إنني حرصت على ذكر بعض ضوابط تكريم الإنسان في السنة النبوية، مشيرًا إلى أن حفظ النفس الإنسانية مقصد من مقاصد السنة المطهرة؛ لأنه ومن أجل حفظ النفس شرعت أحكام كثيرة منها: حُرِّم قتل النفس إلا بالحق، والانتحار، وشُرِع القصاص، ومُنِع التمثيل بالموتى أو تشويه أعضائهم، وأُمِر بمعاقبة المحاربين، ولأجل هذا المقصد منع الاستنساخ البشري والتلاعب بالجينات، والمتاجرة بالأعضاء، والتشريح لغير ضرورة معتبرة، كما حُرِّم حرق أجساد الموتى، وأمرت

السنة بتناول ما تقوم به النفس من أكل وشرب وعلاج، ونهت عن تعاطي كل ما يضر بدن الإنسان وعقله وروحه، كما نهى النبي ﷺ أن يحمِّل الإنسان نفسه فوق ما تطيق، مثل أن يدعوَ على نفسه، أو يعرِّض نفسه للهلاك.

ومن تكريم السنة للنفس البشرية أن جعل النبي ﷺ حرمة نفس الإنسان أعظم من حرمة الكعبة بيت الله الحرام، وصيانةً لنفس الإنسان أمر رسول الله ﷺ الإنسان أن يعتني بنفسه ويكرمها شكرًا لنعمة الله الذي خلق الإنسان في أحسن تقويم.

وقد أكدت أحاديث كثيرة أن تكريم الإنسان يذاد عنه ويصان بالشرع؛ لأن كل نفيس وعزيز وجليل القدر، بحاجة إلى حفظ ورعاية وحماية وصيانة، بما يتناسب مع نفاسته وجلالة قدره. والإنسان هو مستودع النفائس والكنوز المادية والمعنوية، وهو المستأمن عليها، من خلقته وفطرته وعقله، إلى أمانة تكليفه واستخلافه واستعماره الأرضَ، فلا يليق به أن يُترك سدى، فتذهبَ نفاسته، وتضيعَ كرامته ووظيفته.

ويقتضي عليَّ البحث أن أذكُر بعض مظاهر تكريم الجنس البشري في السنة النبوية، فمن ذلك أن السنة جاءت موافقة للفطر البشرية السوية ومراعية حقوق الإنسان، فما توافقت عليه الفطر السليمة، وجرى عليه عمل عقلاء بني آدم؛ يكون حاكمًا وله في الشرع اعتبار... وأيضًا إذا أنعمنا النظر في المقصد العام من التشريع النبوي في العبادات والمعاملات، فسنجده لا يعدو مسايرة حفظ الفطرة والتحذير من خرقها واختلالها، واعتبار ما أفضى إلى خرقٍ عظيم فيها محذورًا وممنوعًا، وما أفضى إلى حفظ كيانها واجبًا.

ومن المظاهر التي تؤكد تكريم السنة المطهرة لإنسانية الإنسان أن اعتبرت العقل نعمة وحثت على حسن توظيفه؛ لأن العقل منشأ الفكر وبه يتمكن الإنسان من الإدراك والتدبُّر وتصريف الحياة، وقد كان من شأن النبي ﷺ في تعامله

مع أصحابه استحسان استخدام العقل، فكان يرغِّبهم في التفكير وحسن تدبُّر الأمور، ويلقي عليهم الأسئلة التي تحفز الذهن ليفكر، ويخبرهم أن الله يحب الإنسان الذي يوطِّن نفسه ويتعقَّل في تصرفاته، فلا تجرفه الشبهات فيقع في الزلل، ولا تستهويه الشهوات فيقع في المعصية، وكان عليه الصلاة والسلام يحث أصحابه على الاجتهاد والتفكير الإيجابي، ويثني على من يفعل ذلك.

ومن مظاهر تكريم الإنسان في السنة منع إهانة الآدمي حيًّا كان أو ميتًا، ولقد جاء في فعل النبي ﷺ ما يؤكد مراعاته تكريم الإنسان وحُرمته مسلمًا كان أم كافرًا، وذلك أنه ﷺ مَرَّتْ بِهِ جِنَازَةٌ فَقَامَ، فَقِيلَ لَهُ: إِنَّهَا جِنَازَةُ يَهُودِيٍّ، فَقَالَ: (أَلَيْسَتْ نَفْسًا؟).. وقد عظَّم رسول الله ﷺ قتل المعاهد المسالم وبيَّن عقوبة هذا الفعل في الآخرة، واقتص عليه الصلاة والسلام ممن قتل معاهدًا، كما نهت السنة عن التعدي على الميت؛ لأن حرمة الإنسان ميتًا كحرمته حيًّا، وجاءت نصوص السنة بتحريم كسر عظم الميت وبل نهت عن الجلوس على قبره.

ومن تكريم الإسلام لبني آدم أن اعتبر رسول الله ﷺ إكرام من شَابَ في الإسلام، واحترام حامل القرآن المعتني به، وإكرام من بيده سلطة وكان عادلًا في حكمه؛ -اعتبر كل ذلك- إجلالًا لله عز وجل فقال: (إن من إجلالِ الله، إكرامَ ذي الشيبَةِ المسلمِ، وحاملِ القُرآنِ غيرِ الغالي فيه والجافي عنه، وإكرَامَ ذي السُّلطَانِ المُقْسِطِ).

والآن سيذهب بنا السياق للحديث عن المبدأ الذي يعتبر الأصل في الإنسان وتصرفاته الحرية؛ وذلك لأن الشارع الحكيم متشوف لحرية الإنسان.. يقولون: الحر من الْأَشْيَاء أفضلهَا، وَمن القَوْل أَو الْفِعْل الْحسن مِنْهُ، وتطلق كلمة الحرية ويراد بها: الفضل وسمو الكمال، والمنزلة الرفيعة، ويطلق لفظ الْحُرِّ على الإنسان كريم الأصل، في حين يطلق لفظ الْعَبْدِ لِلَّئِيمِ.

وفي لغة الفقهاء: الْحُرِّيَّة: هي القدرة على التصرف بملء الإرادة والاختيار، ولذلك قال الفقهاء: (الأصل في الناس الحرية؛ لأنهم أولاد آدم وحواء عليهما السلام، وقد كانا حرين)، ولهذا أوجبوا تمكين الإنسان من العيش والعمل والتحدُّث وإبداء الرأي بلا خوف ولا إكراه. ونجد في السنة المطهرة أحاديث كثيرة تؤكد ما ذكرته، من ذلك ما قاله رسول الله ﷺ: (إِنَّ اللَّهَ لاَ يَتَرَحَّمُ عَلَى أُمَّةٍ لاَ يَأْخُذُ الضَّعِيفُ مِنْهُمْ حَقَّهُ مِنَ الْقَوِيِّ غَيْرَ مُتَعْتَعٍ)، ومعنى كلام النبي ﷺ: من غير أن يصيبه أذى يقلقله ويزعجه.

ثم إنه لا بد من ذكر بعض ضوابط حرية الإنسان في السنة النبوية: فمن ذلك أن النقد البناء مأمور به في الشريعة على أن يلتزم الناقد بأدب النصيحة؛ لأن الإسلام أباح حرية النقد البناء والتناصح بين المؤمنين، مثال ذلك ما حصل من المرأة التي عارضت سيدنا عمر عندما أراد معالجة غلاء المهور، والشاهد من الخبر أن المرأة مارست حقها في النصح وإبداء الرأي بعفو خاطر غير متعتعة، وتقبل أمير المؤمنين رضي الله عنه قولها ولم ينكر عليها. كيف لا؟ وقد تقرر عند الفقهاء أنه لا تثريب على المطالبة بالحقوق إذا صدرت من مدعيها ولا ينكر عليه، ولا يوبخ بسبب ذلك.

ولكن إطلاق الحريات لا يعني الفوضى والخروج عن حدود الأدب؛ لأن مفهوم الحرية عند عقلاء الأمم هو الوقوف عند الحدود والمطالبة بالحقوق، وعليه: فمن لم يقف عند الحدود فليس له أن يطالب بالحقوق، وإن الوقوفَ عندَ الحُدودِ يقتضي ألا يخرج الإنسان عمَّا أُذِنَ فيه إلى ما نُهِي عنه، كما ينبغي أن يعلم أنَ إشاعة الحريات لا تعني ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فالمسلمون مجتمع له خصائصه وقيمه ومميزاته.

إن التوسع في الحريات لا يعني إباحة التعدي على خصوصيات الغير، ويأتي هذا الضابط حتى لا يفهم بعض الناس مفهوم الحرية فهمًا مجتزأ كأن يتصورها

مجرد السماح له بسببٍ هذا وانتهاك حرمات ذاك، فقد قررت السنة أنه: (لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ، مَنْ ضَارَّ ضَارَّهُ اللَّهُ، وَمَنْ شَاقَّ شَاقَّ اللَّهُ عَلَيْهِ)، وكما حرمت السنة التعدي على حريات الآخرين إضرارًا بهم، كذلك حرمت إزالة ضرر واقع بالإنسان بالإضرار بغيره، إذ لَيْسَ لِأَحَدٍ أَنْ يَدْفَعَ الضَّرَرَ عَنْ نَفْسِهِ بِالْإِضْرَارِ بغيره، ولذلك وضع الفقهاء قاعدة فقهية فيها صيانة لحقوق الغير فقالوا: (مَنْ يُرِدْ إِضْرَارَ النَّاسِ جَازَ دَفْعُ ضَرَرِهِ)، من هذا السياق يتضح لنا أن السلوك الصحيح لممارسة الحرية يعني أن يتمتع الشخص بما لا يضير به سواه.

كما أن الحرية الشخصية لا تعني التعدي على ثوابت الأمة التي يجب المحافظة عليها، مثل الوحدة الفكرية واستقرار المجتمع، فقد أكد النبي ﷺ هاتين القضيتين، ويظهر ذلك حين أخبره عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ أنه وجد بَعْضِ الْكُتُبِ استحسن ما فيها، فلم يقبل النبي ﷺ كلامه، وأخبره أنه جاء بالحق الواضح الذي ليس لأحد من أتباعه أن يتجاوزه إلى غيره.

وهناك سلوك آخر يدعي ممارسوه أنه ضرب من الحرية، كما حدث في آخر سنة عاشها النبي ﷺ في الدنيا، أن أراد بعض أهل المدينة إنشاء «منظمة مجتمع مدني» عرفت في السيرة باسم (مسجد الضرار). وكان المبنى في الصورة الظاهرة مسجدًا، وباطنه دار حرب، فأخبر الله عز وجل رسوله ﷺ بخبره فأرسل من يقوم بهدمه وإحراقه.

الحمد لله الذي وفقني لإكمال البحث، الذي أجدد في ختامه شكري للقائمين على الأمانة العامة لندوة الحديث الشريف بجامعة الوصل بدبي لإتاحتهم لي هذه الفرصة الغالية، سائلًا المولى الكريم أن يجزيهم عني خيرًا ويجعل أعمالهم في موازين حسانتهم.

وبالله التوفيق

اليوم الأول: الجلسة العلمية الأولى

الضمانات الأساسية لتحقيق حقوق الإنسان

دراسة في منظور الحديث النبوي

د. عمر بوراس

المغرب

إذا كان المجتمع الدولي لم يعترف ولم يقر بحقوق الإنسان إلا بعد الحرب العالمية الثانية، فإن الإسلام قد أقر الحقوق للإنسان ذكرًا كان أو أنثى، حرًّا كان أو عبدًا منذ أن بعث الله عبده ونبيه محمد ﷺ، بدين الإسلام وتعاليمه الخالدة، من كتاب وسنة لتوطيد مكانة الإنسان على الأرض حماية له من الآفات التي تشغله عن وظيفته في الوجود، أو تحرمه الحقوق المقررة له منذ الأزل مادية كانت هذه الحقوق أو أدبية.

إن قدر الإنسان في ظل الإسلام رفيع، ومكانته تجعله سيدًا في الأرض والسماء، هذه المكانة رشحته ليكون خليفة عن الله في أرضه، وجعل حتى الملائكة تسجد له، ورغم اختلاف الناس في ألسنتهم وألوانهم؛ فإنهم متساوون في الحقيقة الإنسانية الأصلية، بل الإسلام يرفض رفضًا حاسمًا أن يكون الاختلاف في اللون واللغة معيار تفرقة أو سبب انقسام، بل جعله الخالق آية إبداعه فقال: ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَـٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَـٰتٍ لِّلْعَـٰلِمِينَ ﴾ ثم نجد أن هذا مما نصت عليه مبادئ حقوق الإنسان العالمية في العصر الحديث.

والمتأمل في السّنّة النّبوية وفي خطبة الوداع خاصة، التي ألقاها رسول الإسلام إلى البشرية جمعاء ﷺ، نجد أنه لخّص فيها مقاصد الإسلام في كلمات جامعة، وأرسى من خلالها مبادئ الرحمة وقيم أخلاقية واجتماعية لهذا الإنسان، فكانت خطبته هذه بمثابة الإعلان العالمي الأول لحقوق الإنسان.

لقد اعتنت رسالة الإسلام بكل إنسان، وما يحيط به، وما يخصه خدمته مما حوته الأرض والسماء، وبكل ما يعتبر أساسًا لحقوق الإنسان جميعها، في سبيل الارتقاء به وبضمان وجوده وتيسير حياته ومماته أيضًا.

من هذا الأساس جاءت فكرة طرح هذا الموضوع «الضمانات الأساسية لتحقيق حقوق الإنسان» الذي سأحاول من خلاله أن أبين بعض هذه الضمانات التي تعتبر أساسية في حماية حقوق الإنسان من السنة النبوية، وهي إما أخلاقية وإما اجتماعية. وحتى تكون نافذة في حماية الحقوق؛ وجب أن تبنى على أحكام الشريعة، إذ إن لم تبن على أسس وقواعد شرعية، يجب احترامها وتطبيقها على أرض الواقع، تهاوت حقوق الإنسان أو كادت؛ وذلك بسبب الابتعاد عن أحكام دين الإسلام في هذا الباب.

إن الصفات الأخلاقية في الإسلام منبثقة من دين الله والإيمان به، ما جعلها صفات ملزمة ينبغي توفرها في كل فرد من أفراد الأمة الإسلامية؛ لتصبح بهذا عاملا أساسًا في ضمان إحلال حقوق الإنسان في الواقع لا في الورق فحسب.

والناظر في الشريعة الإسلامية يجد أن جميع أوامرها ونواهيها أخلاقية في معظمها، إضافة إلى كونها أمورًا شرعية قانونية...، فالأخلاق تضطلع بدور مهم في ضمان تحقيق قيم إنسانية أخرى، لا يمكن السيطرة عليها بوساطة القانون، كنقض الوعد مثلًا، الذي لا يمكن تجريمه قانونًا، لكنه يشكل -بصرف النظر عن مدى ضرره أو تأثيره- فعلا خاطئًا أخلاقيًّا، وهذا يوضح بجلاء مدى الحاجة إلى وجود ضمير أخلاقي إنساني حي يتحكم في تصرفات الناس وأفعالهم بالحق، والنّبيّ ﷺ كان أحرص النّاس على أمّته؛ فما من شرّ إلّا وحذّر أمّته منه، وما من خير إلّا ودلّ أمّته عليه؛ لذا فالواجب تنمية هذا الجانب عن طريق تطوير القيم الأخلاقية والروحية الدينية.

والقيم الإسلامية كثيرة وما على الشخص إلا أن ينميها في نفسه حتى يصبح إنسانًا فاضلًا في ذاته ومع غيره؛ إذ الإسلام حريص كل الحرص على نشر الفضيلة وحث الناس على التحلي بها في جميع سلوكياتهم، بصرف النظر عما إذا كان التصرف خاصًّا أو عامًّا، سرًّا أو علنًا؛ لأن الهدف من وضع القيود الأخلاقية

هو ضمان الحفاظ على حقوق الناس وأعراضهم، ومن القيم الأخلاقية المهمة التي تشكل رباطًا نفسيًّا متينًا للعلاقات الإنسانية ولحفظ الحقوق نجد الصدق. وهو إحدى الفضائل الأخلاقية التي بني عليها الإسلام، وأوجب كل فرد من أفراد المجتمع على الالتزام بها والحرص عليها، بهدف تحقيق العدالة وإرساء الحقوق، وليس في هذا ما يدعو للاستغراب؛ فلصفة الصدق في الدين الإسلامي مكانة كبيرة؛ فالرسول ﷺ كان من صفاته أنه آمن النّاس وأصدقهم منذ كان، فكان مثالًا كاملًا للأمانة وصدق الحديث، وأداء الحقوق لأربابها، قال تعالى: ﴿مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾ فلم تحص عنه خيانة ولا كذبة قط، بل اشتهر بأمانته حتى لقب بالأمين.

ومن القيم الأخلاقية لضمان حقوق الإنسان أيضًا: العفو؛ فالله سبحانه جعل الإنسان مخلوقًا غير كامل كمالًا مطلقًا؛ إذ الكمال من صفات الله وحده، ومعنى هذا أن الإنسان معرض للخطأ بصورة طبيعية، ما يجعل الحاجة مؤكدة إلى العفو والتسامح سلوكًا أخلاقيًّا يحرص الناس على التحلي به، والتسامح بهذا المعنى سلوك متبادل مطلوب كخلق واقعي لتخليص الإنسان من معاناته الناشئة عن قصوره الذاتي؛ ولأنه غير كامل فإن التسامح واجب الجميع، وصور عفوه وتسامحه ﷺ أكثر من أن تحصى، أسس فيها -عليه السلام- لمبدأ إنساني عظيم افتقدته البشرية في الوقت الحاضر.

فقد عمل الرسول ﷺ طيلة حياته الشريفة، ينشر القيم والخير والسلام وأخلاقيات التعامل الحضاري، تأصيلًا لثقافة التسامح لدى المسلمين، وغرسًا للقيم النبيلة، مما سمح ببناء حضارة إسلامية قامت على فتوحات رائدة، تركن في اندفاعاتها إلى العقل، وتقوم على الاجتهاد، وتنبذ كل أشكال التعصب والتطرف المؤذي بعيدة عن التحجر والانغلاق.

ومن القيم الإسلامية أيضًا العدالة: وهي من الحقوق التي اهتم بها الإعلان

العالمي لحقوق الإنسان، بل نصوصه كلها على هذا الحق، وهو مبدأ أصيل في الدين الإسلامي، وحق الإنسان في العدالة يتحقق من خلال تنزيل مقصد العدل، الذي هو من مقاصد الشريعة الإسلامية العامة، تراعيه الشريعة وتعمل على تحقيق الغاية منه من خلال أبوابها التشريعية، فحق الإنسان فيه حق مقرر ومؤكد بل هو حق مقدس، سعى الإسلام إلى تحققه من خلال نصوص الكتاب والسنة.

وهو ما جسَّده رسول الله ﷺ حيث كان آمن النّاس، وأعدل النّاس، وأعفّ النّاس، وأصدقهم لهجة منذ كان، اعترف له بذلك محادّوه وعداه.

وإلى جانب الضمانات الأخلاقية نجد الضمانات الاجتماعية، فالإسلام جعل من المسلمين أمة واحدة مترابطة، ونظم مجتمعهم تنظيمًا هرميًّا يسوده إيمان موحد هو عقيدة التوحيد قولًا وعملًا، وهذه الوحدة تؤدي إلى قيام قاعدة شعبية متضامنة هي الأمة ويقوم بينهما بطبيعة الحال توازن دستوري ونظام تشريعي كما هو الشأن في جميع النظم الدستورية.

لهذا اهتم الإسلام بتحديد العلاقة بين السلطة والأفراد وكذلك بين الأفراد فيما بينهم وأحاط بما يلزم لحفظ المقاصد، التي لم تأت الشرائع السماوية، ولم تنشأ القوانين إلا لصيانتها والمحافظة عليها، والشرع الإسلامي قيد الطاعة بالمعروف، أي بما وافق الشرع، ونهى عن الطاعة في المعصية، فإذا ما أمر بالمعصية فالمعارضة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبة يتحتم القيام بها تصديًا للانحرافات.

وفي سبيل ذلك دعا الحديث النبوي المجتمع إلى القيام برسالة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لحفظ المجتمع الإنساني، والوقاية من عوامل الهدم أو التصدع فيه وضمان حقوق الأمة من خلال الحفاظ على مكونات المجتمع ومؤسساته حماية لحقوق هذا الانسان وحرياته.

ومما سبق؛ يتبين مدى قيمة الإنسان وحقوقه في موازين الإسلام، كيف تصان

حقوقه وكرامته وتراعي مصلحته في نظام هذا الدين، ولا ريب أن الواجب الآن؛ يقع على عاتق المسلمين حكامًا وشعوبًا في تبيان ما يمكن أن يقدمه الإسلام من المبادئ والقيم الإنسانية للإنسان لإغناء هذه المسيرة الخيرة، والتأكيد على أن تقيد المسلمين بحقوق الإنسان في بلادهم يعتبر أهم دعوة لفهم الإسلام؛ لأن التقيد بهذه الحقوق تدعو إلى الوحدة لا للتفرقة، فحقوق الإنسان منبعها القرآن والسنة.

الحرية الإنسانية ودور السنة النبوية في السمو بها

د. عوض إبراهيم منصور بابكر
جامعة المَجْمَعَة – السعودية

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، والصلاة والسلام على رسول الإنسانية الذي قال الله تعالى عنه: ﴿ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ﴾.

وقد كثرت في هذه الأيام الشعاراتُ التي تنادي بالحرية وفي زعم المنادين بها أن الإسلام يقف حَجَرَ عَثْرَةٍ فِي تطبيقها، وقد جهلوا أنها جزء من مكارم الأخلاق التي اعتنت بها السنة النبوية، ودعت للسمو بها وبذلها ليس للبشر فحسب بل حتى للحيوانات، كما قال ﷺ: «دَخَلَتِ امْرَأَةٌ النَّارَ فِي هِرَّةٍ رَبَطَتْهَا فَلَمْ تُطْعِمْهَا وَلَمْ تَدَعْهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ الْأَرْضِ»، ولبيان ذلك سيكون التفصيل عبر النقاط الآتية:

النقطة الأولى: مفهوم الحرية: ينطبق على كل من انعتق عن رق العبودية ومَلَكَ التصرف بملء إرادته واختياره واتصف بحميد الأخلاق والأفعال.

النقطة الثانية: تعظيم السنة لقيمة الحرية الإنسانية: أعلت السنة النبوية من شأن الحرية، ودعت إلى تحقيقها بكل أنواعها، ففي مجال الحرية الشخصية، كفلتها السنة النبوية لكل فرد دون تمييز لجنس أو لون أو عرق، كما قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مخاطبًا الإنسانية: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَلَا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ، أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ، وَلَا أَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ، وَلَا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ إِلَّا بِالتَّقْوَى».

وقد كفلت السنة النبوية للمرأة حرية اختيار زوجها ومشاورتها قبل إمضاء عقد النكاح فقد قال النبي ﷺ: «لَا تُنْكَحُ الْأَيِّمُ حَتَّى تُسْتَأْمَرَ، وَلَا تُنْكَحُ الْبِكْرُ حَتَّى تُسْتَأْذَنَ».

وأما الحرية الفكرية، فإن الرحمة المهداة ﷺ دعا الإنسانية إلى دين الإسلام فمن أسلم قبل منه، ومن أصر على دينه لم يكره على تغييره وأمر بدفع الجزية مقابل حمايته وتجريم المساس به، قال ﷺ: «أَلَا مَنْ ظَلَمَ مُعَاهَدًا أَوِ انْتَقَصَهُ، أَوْ كَلَّفَهُ

فَوْقَ طَاقَتِهِ، أَوْ أَخَذَ مِنْهُ شَيْئًا بِغَيْرِ طِيبِ نَفْسٍ فَأَنَا حَجِيجُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

وأما في الحرية الاقتصادية، فقد راعت السنة الجبلة الإنسان في حبه للتملك، فأباحته بلا سقف معين، شريطة أن يُراعي فيه أمرين: «مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ»، ونهى عن استغلال الوسطاء للبسطاء في البيع، فقَالَ ﷺ: «لَا يَبِعْ حَاضِرٌ لِبَادٍ، دَعُوا النَّاسَ يَرْزُقُ اللهُ بَعْضَهُمْ مِنْ بَعْضٍ»، وفي رِوَايَةٍ: «يُرْزَقُ»..

وفي حرية الكلمة، قال ﷺ: «لَا يَمْنَعَنَّ رَجُلًا مِنْكُمْ مَخَافَةُ النَّاسِ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِالْحَقِّ إِذَا رَآهُ أَوْ عَلِمَهُ».

النقطة الثالثة: محاربة السنة النبوية للعبودية والتحذير مما يسلب الحرية، اتبعت السنة النبوية منهجًا فريدًا في القضاء على العبودية واجتثاثها، وذلك بالأمر بنبذ العبودية، والنهي عما يكون سببًا في جلبها.

فمن وسائل السنة النبوية لمحاربة العبودية:

١. الترغيب في عتق الرقاب تقربًا إلى الله تعالى.

٢. التحذير من استعباد الناس، قال ﷺ: «قَالَ اللهُ: ثَلَاثَةٌ أَنَا خَصْمُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: منهم: وَرَجُلٌ بَاعَ حُرًّا فَأَكَلَ ثَمَنَهُ».

٣. التوسع في تشريع أسباب العتق، ومن ذلك.

أ. اعتماد تحرير العبيد أحد أصناف مستحقي الزكاة الثمانية.

ب. جعل العتق كفارة لبعض المخالفات، مثل الظهار، والجماع في نهار رمضان، والحنث والقتل الخطأ، وضرب العبد ظلمًا.

٤. حث أصحاب المماليك بمكاتبة مملوكيهم إن أرادوا الحرِّية، وعونهم على ذلك.

٥. الحكم بأن من اشترى بعض محارمه فهو حُرْ تلقائيًا ولا يحتاج إلى إعتاق.

٦. الأمر بمعاملة المماليك معاملة تليق بإنسانيتهم في المأكل والملبس والعمل.

٧. التحذير من ارتكاب ذنب تكون عاقبته التضييق على صاحبه، وسلب حريته، كمن قتل نفسًا أو زنى بعد إحصان، أو فارق الجماعة، أو ماطل في أداء الحقوق وهو غني.

٨. التربية النفسية لأصحابه في محو آثار العبودية عن الرقيق، ليعاملوهم كإخوة لينسوا الرق ويندمجوا في المجتمع ولا يشعروا بالدونية، ومن الهدي الذي اتبعه النبي ﷺ في ذلك:

أ. مناداتهم بألفاظ لا تحط من كرامتهم.

ب. المؤاخاة بين الأحرار والموالي، كما آخى بين مولاه زيد وعمه حمزة، وآخَى بَيْنَ سَلْمَانَ، وأَبِي الدَّرْدَاءِ.

ج. تزويج زينب بنت جحش القرشية بمولاه زيد بن حارثة، وغيره من الأرقاء، وهذا يمثل الجانب التطبيقي لكسر الحواجز العرقية والأنفة الموروثة من مجتمع يحكمه الكبر والفخر بالأحساب والأنساب.

د. تولية مولاه زَيْد بْن حَارِثَةَ جيشًا فيه سادات العرب من المهاجرين والأنصار، ولما قتل ولى ابنه أسامة بن زيد قيادة الجيش نفسه، فكان في ذلك رفعٌ لمكانة الموالي من وهدة العبودية إلى مراقي السؤدد والقيادة والرئاسة.

هـ. أوصى النبي ﷺ بطاعة ولي الأمر وإن كان من الموالي.

النقطة الرابعة: توجيهات وإرشادات نبوية في المحافظة والسمو بقيمة الحرية:

جاءت تعاليم السنة النبوية لبناء حرية صحيحة تليق بتكريم الله للإنسان،

والسمو بإنسانيته، ومن تلك الإرشادات والضوابط:

الإرشاد الأول: الخصوصية الفردية حرم آمن لكل شخص: كفلت السنة النبوية لكل شخص حرمًا آمنًا لا يجوز لأحد التعرض له إلا بطيب نفس من صاحبه، وأذنت لمن ضيق عليه فيه، أن يذود عنه ولو أدى ذلك لهلاكه، وبينت السنة أن: «مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ أو دِينِهِ أو دَمِهِ أو أَهْلِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ».

الإرشاد الثاني: ألا تظن أنك وحدك في هذا الكون: من أراد أن يعمل عملًا في مكان فيه غيره، وجب عليه مراعاة حالهم، ولو كان هذا العمل هو قراءة القرآن، كما قال ﷺ عندما سمع قومًا في المسجد يَجْهَرُونَ بِالْقِرَاءَةِ: «أَلَا إِنَّ كُلَّكُمْ مُنَاجٍ رَبَّهُ، فَلَا يُؤْذِيَنَّ بَعْضُكُمْ بَعْضًا، وَلَا يَرْفَعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الْقِرَاءَةِ، أَوْ قَالَ: فِي الصَّلَاةِ».

وكان هذا الهديُ ديدنًا له ﷺ كما قَالَ: «إِنِّي لَأَقُومُ فِي الصَّلَاةِ، أُرِيدُ أَنْ أُطَوِّلَ فِيهَا، فَأَسْمَعُ بُكَاءَ الصَّبِيِّ فَأَتَجَوَّزُ فِي صَلَاتِي؛ كَرَاهِيَةَ أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمِّهِ»، وفي رواية: «مِمَّا أَعْلَمُ مِنْ شِدَّةِ وَجْدِ أُمِّهِ مِنْ بُكَائِهِ».

الإرشاد الثالث: لا ترضَ لغيرك ما لا ترضاه لنفسك: أغلب الذين يتعدون على حريات الآخرين ينظرون من زاوية أنفسهم ولا يراعون لحال ومشاعر الآخرين، لذا أرشدت السنة النبوية إلى توسيع دائرة الرؤية، بأن تضع نفسك في الجهة التي خفيت عن ناظريك حتى تكتمل الصورة وتتجلى لك مخاطر التسرع في النظر من جهة واحدة، كما ثبت: «أَنَّ فَتًى شَابًّا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، ائْذَنْ لي بِالزِّنَا، فَأَقْبَلَ الْقَوْمُ عَلَيْهِ فَزَجَرُوهُ وَقَالُوا: مَهْ مَهْ، فَقَالَ: ادْنُهْ فَدَنَا مِنْهُ قَرِيبًا قَالَ: فَجَلَسَ قَالَ: أَتُحِبُّهُ لِأُمِّكَ ؟ قَالَ: لَا وَاللهِ، جَعَلَنِي اللهُ فِدَاكَ، قَالَ: وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأُمَّهَاتِهِمْ ثم أخذ يعدد له: أَفَتُحِبُّهُ لِابْنَتِكَ ؟ أَفَتُحِبُّهُ لِأُخْتِكَ ؟ أَفَتُحِبُّهُ لِعَمَّتِكَ ؟ أَفَتُحِبُّهُ لِخَالَتِكَ ؟».

الإرشاد الرابع: الالتزام بالقانون، فالمؤمنون على شروطهم: من أصول تعاليم السنة النبوية أن المؤمنين على شروطهم، ومن ذلك الالتزام بالقوانين التي فرضها الحاكم وبويع على طاعته فيها، ومن تلك القوانين التي يجب احترامها قوانين استخدام المرافق العامة، وما تجعله الدولة من حدود وفواصل لتمييز الحقوق أو لافتات توعوية في الطرقات وحدود المخططات وعلامات المرور وغيرها مما يرشد كل فرد إلى حدود ملكه أو صلاحيات تصرفاته، وقد جاءت السنة بالنهي عن التعدي على هذه العلامات أو تغييرها أو العبث بها، فقال ﷺ: «لَعَنَ اللهُ مَنْ غَيَّرَ مَنَارَ الْأَرْضِ». أي علامات حدودها.

الإرشاد الخامس: لا تفرط في واجبك وأعط كل ذي حق حقه: فقد اهتمت السنة النبوية بالالتزام بالحقوق وأداء الواجبات وعدم الميل إلى جانب وترك الآخر، كما قَالَ سَلْمَانُ لأبي الدرداء: إِنَّ لِرَبِّكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِنَفْسكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلأَهْلكَ عَلَيْكَ حَقًّا، فَأَعْط كُلَّ ذي حَقٍّ حَقَّهُ. فَأَتَى أبو الدرداء النَّبِيَّ ﷺ فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: صَدَقَ سَلْمَانُ».

الإرشاد السادس: المناصحة: شبه النبي ﷺ الناس في هذا الكوكب بفريقين يركبان سفينة؛ فريق ملتزم بحرية منضبطة بالشرع وفريق يريدها حرية مطلقة، ويتصرف في الأمور التي تخص العامة بمفرده وبمنأى عن مراعاة الآخرين، فأراد هذا الفريق أن يخرق خرقًا في الجهة التي هو فيها، فقال ﷺ: «فَإِنْ يَتْرُكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا، وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا وَنَجَوْا جَمِيعًا».

وفي الختام فإن السنة النبوية سمت بقيمة الحرية الإنسانية، حتى صنعت مجتمعًا مسلمًا موحدًا، نابذًا للعنصرية، ساميًا بأخوته الإيمانية، حتى بلغ من تواضع عمر رضي الله عنه أنه قال: «أَبُو بَكْرٍ سَيِّدُنَا، وَأَعْتَقَ سَيِّدَنَا يَعْنِي بِلاَلًا رضي الله عنه».

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على الرحمة المهداة للعالمين وعلى آله وصحبه أجمعين.

اليوم الأول: الجلسة العلمية الأولى

دور البناء الاجتماعي وفلسفة التّاريخ في إبراز إنسانيّة الإنسان من خلال السنّة النّبويّة

د. فراس بن محمد بن ساسي

وزارة التربية والتعليم – تونس

تكتسي المسألة التّاريخيّة والمسألة الاجتماعيّة أهمّيّة بالغة في الحياة، فبهما تُقَدّر قيمة الإنسان، وعليهما ينبني كيانه، ومن خلالهما تتبلور رؤيته الذّاتيّة والكونيّة، ومنهما انطلق الإسلام عمومًا، والسنّة النّبويّة خصوصًا في تكريس الإنسانيّة تطبيقيًّا من خلال دعم التّصوّر الاجتماعي والتّاريخي الإسلامي بما يُحافظ على قيمة الكيان البشري ويدعم إنسانيّته.

وقبل الشّروع في عرض نقاط البحث، من المهمّ جدًّا الوقوف على أبرز المفاهيم المركزيّة المُتعلّقة بالموضوع، وأوّلها «البناء الاجتماعي» وهو وصف الأشكال البنائية وتحليل كل منها إلى عناصره الجزئية ودراسة العلاقات بين تلك العناصر بعضها مع البعض الآخر، وبحث الوظائف الاجتماعية لتلك العناصر، وأمّا «فلسفة التّاريخ» فهي فرع معرفيّ يهتمّ بمحاولة فهم مسار الأحداث التاريخيّة الإنسانيّة ككل محاولًا الوصول إلى علّتها الكلّيّة الشّاملة، ويشير مصطلح الإنسانيّة إلى مجموعة من معاني الإحسان إلى البشر، وإعلاء قيمة الكرامة الإنسانيّة والاهتمام بالإنسان عمومًا، وهذا القدر يكاد يكون متّفقًا على حسنه بين جميع البشر.

وأمّا عن أولى زاوية للنظر في مُتعلّقات هذا الموضوع، فهي رصد تجلّيات إنسانيّة الإنسان في البناء الاجتماعي من خلال السنّة النّبويّة وذلك انطلاقًا من:

تكريس السنة النبويّة للإنسانيّة من خلال موقفها من ديناميكيّة السنن الحاكمة للمجتمع: تقرّر السنّة النّبويّة وجود سنن كونيّة يسير وَفقهَا الكون وتنضبط الحياة البشريّة بمقتضاها، فكان التّوجّه الإسلامي الصّريح أنّ حركة التاريخ ليست اعتباطيّة ولا عشوائيّةً، بقدر ما هي شبكة أحداث مُتّسعة جدًّا تربطها قوانين صارمة تقودها في مسار مُحَدّد، وهذه الحتميّة صريحة في تَعَلّقهَا بالإنسانيّة قاطبة لا بالمسلمين فقط؛ لذلك يكثر في السنّة النّبويّة خطاب الاعتبار وقصّ آثار السّابقين للاستفادة، واعتماد ألفاظ توحي بكونيّة السنن كـ«من كان قبلكم» إيذانًا

بالاتّصال الزّمني بين الحقب التّاريخيّة وتقاطعها في النّواميس الحاكمة، وقد ربطت السنّة النّبويّة السنن الكونيّة بالله العادل، واعتبرت السنن الكونيّة أسبابًا لها مآلات مُعَيّنَة، إلاّ أنّ اختيارات إعمالها تعود للإنسان، وهو مسؤول أمام أفعاله، والشّبكة التي تحكم الكون ليست إلاّ جملة خيارات منضبطة يسير فيها الإنسان كما يُريد، هذه النظرة تُعطي أكثر قيمة للإنسان، وتُعلي من شأنه إزاء تصوّرات العدميّة، وهي من ثم تكرّم الإنسان إذ تدع له حرّيّة الاختيار، وتتعامل في الوقت ذاته مع العنصر الإنساني فيه وهو الوعي والإرادة والحرّيّة.

تكريس الإنسانيّة من خلال الثابت الاجتماعي: الدّين والأخلاق نموذجًا: كانت السنّة النّبويّة صريحةً في تقرير وجود مُعطيات اجتماعيّة ثابتة وقديمة قدم الإنسان، من ذلك قضيّة الأخلاق، مؤسّسة لـ«موضوعيّة الأخلاق» ويُراد بها «أنّ القيم الأخلاقيّة قائمة خارج النّفس، ثابتة الوجود بعيدًا عن تأثيرات الحسّ أو الذّوق أو أعراف المُجتَمَع، ولها طابع الإلزام الذي يجده الإنسان في نفسه ولا يملك منه فكاكًا»، وبهذا يضع الإسلام حَدًّا للنّسبيّة التي تهدر القيمة الإنسانيّة وتُؤصّل للعدميّة العنيفَةِ، بل وللوقوع في مزلق إعدام الإنسان.

تكريس الرؤية الكونيّة للإنسانيّة: الإسلام في بناء نموذجه الاجتماعيّ، اعتمدَ رؤية كونيّة واضحة جدًّا، قوامُهَا الأوّل والأساس، وجود الذّات الإلهيّة الفاعلة، التي عنها صدر الخلق وقامت الخلائق وسُطرت الأحداث وسار الكون، وهو الأوّل والآخر، والمُتَفرّد بكلّ صفات الكمال والمنَزّهُ عن كلّ نقصان.

الطّبيعة الإنسانيّة: يعتبر الإسلامُ الإنسَانَ مخلوقًا مُزْدَوَجَ التّكْوِينِ، بجانبه المادّي وجانبه الرّوحي، وأصل خلقته جُعلت لتَتَكَيَّفَ مع مُهمّته الكونيّة حصرًا، فأيّ مُعالجة أُحَادِيَّةِ الزّاوية للإنسان قَمِنَةٌ بتشويهه وهدر قيمَتِهِ وطعن في إنسانيّته.

دور النّظريّة الاجتماعيّة الإسلاميّة في تكريس الإنسانيّة: المقاربة الإبستيمولوجيّة نموذجًا: تحدّثت السنّة النّبويّة بوضوح عن النّظريّة الاجتماعيّة في الإسلام، وجعلت قِوَامُها أوّلًا النّظرة التّوحيديّة، الدّاعية إلى توحيد الله وإفراده بالعبادة، وعدم الإشراك به، والإنسان في كنف التّوحيد ينظر للدّنيا والمجتمع بنزعة الحُرّيّة التي تفكّ قيوده وتوسّع نطاق تفاعله وتربطه بالله المُتَعالي عن الوجود، وهي تزكية للنفس البشريّة وعتق لها من سجن الأفكار والمُعتَقَدَات الفاسدة، وسبيل له للإعمار الاجتماعي والمسؤوليّة الإنسانيّة والمدنيّة.

دور المقاربة الأخلاقيّة في تكريس الإنسانيّة: نجحت النّظريّة الأخلاقيّة الإسلاميّة وما لها من أسس معرفيّة وعقائديّة ركينة، في اختبار التّطبيق الاجتماعي، فأسّست مُجتَمعًا إسلاميًّا قويًّا وراسخًا بصفات قياديّة وتضامنيّة، ومُقوّمات فعّالة، وكان للدّافع الدّيني الدّور الأهمّ في بلورة الشّخصيّة المُسلمة البناء الأخلاقي المطلوب، ومقاربة الإنسانيّة في أبهى حُلّة.

وأمّا عن ثاني زاوية للنظر في هذا الموضوع، فهي رصد دور فلسفة التّاريخ في إبراز إنسانيّة من خلال السنّة النّبويّة وذلك انطلاقًا من تدخّل الإنسان في صناعة الحدث التّاريخي علامة على إنسانيّته:

تعتبر السنّة الإنسان أحد المؤثّرين الأساسيّين في الحدث التّاريخي الذي ينتجه فعله بإمضاء الله ومشيئته، وهو المسؤول الأساسيّ أيضًا عن أفعاله أمام الله، وله في هذه الحياة آليّات تفكير ووحي يساهم في إرشاده وتوفيقه إلى حسن الاختيار، هذا التّصوّر الإسلامي حول مسألة القدر من آكد محرّكات السعي والإبداع في المسار التّاريخي، وهو دعيمة أساسيّة من دعائم تحمّل المسؤوليّة وعدم الاتّكال وإثبات إنسانيّة الإنسان باعتباره فاعلًا تاريخيًّا أساسيًّا لا وحدة هامشيّة فحسب.

ترشيد التنافس الحضاري الحتمي في التّاريخ سبيل لتحقيق الإنسانيّة: السنّة إذ تؤكّد حتمية التنافس الحضاري قانونًا كونيًّا، فإنّها لا تحثّ عليه مطلقًا إلاّ بضوابط معيّنة، ولا تجعله مقصدًا بقدر ما تعدّه واقعًا يجب التفاعل الإيجابيّ معه وترشيده وتكريسه فيما تمليه العقيدة والإيمان لتحقيق الإنسانيّة الإسلاميّة. ولعلّ ثقافة التنافس في العقيدة الإسلاميّة تتجاوز البشر إلى الشيطان والنفس التي تُعدّ عدوّا للجنس البشري، وعائقًا أمام تحقيق مقتضيات الاستخلاف والقيام بواجب الإيمان والطاعة والإعمار، وهي جوهر الإنسانيّة في منظور السنّة النبويّة.

تعلّق نواميس قيام الحضارات وسقوطها بالقيم الإنسانيّة في منظور السنّة النّبويّة: تربط السنّة النّبويّة القوانين الكونيّة بقيم إنسانيّة كونيّة تسعى إلى الحفاظ على الكينونة الإنسانيّة، ونوط تقدّمه الحضاري بالتزامه الإنساني، وتكريس مقوّمات الإنسانيّة، فنجد في هذه القوانين حديثًا عن الظّلم والنّصيحة وكشف الكرب والصبر وعدم المذلّة والعلم والاختلاف والرّكون إلى الدّنيا والمعاصي بشتى أنواعها وقطع الأرحام وغيرها، والملاحظ أنّ كُلّ هذه القوانين التي كشفت عنها السنّة النّبويّة تتماهى مع القيم الإنسانيّة الكونيّة، وكأنّي بالسنّة النبويّة تكشف لنا عن القانون الإلهي الذي يكرّس الإنسانيّة، وتجعلها ضمن مسمّى العبادة بما لها من طبيعة إلزاميّة وقداسة في النّفس الإنسانيّة عمومًا، وفي الإسلام خصوصًا؛ لذلك فالإنسان المسلم في ضوء التّشريع الإسلامي مطالب حسب تشريعات دينه لمراعاة القيم الإنسانيّة ليس فقط من منطلق كونها عبادة فقط، وإنّما باعتبارها سبيلًا لبناء الحضارات كما بيّن ذلك خالق الكون والإنسان ومسارات الحياة.

إنسانية الإنسان في السنة النبوية

التعامل مع الغير نموذجًا

د. هدى حسن صديق عبد السلام

جامعة المنيا – مصر

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد،

فإن الله تعالى قد كرَّم الإنسان، وفضله على سائر مخلوقاته، وسخَّر كل ما في الكون لخدمته، وأنعم عليه بنعمة الإنسانية، ومنحه القدرة على أن يرتقي بإنسانيته ليصل إلى أعلى المراتب والدرجات، كما أراد له الله تعالى، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٠].

وقد اهتمت الشريعة الإسلامية بالإنسان، وحفظت حقوقه، وحرمت الاعتداء عليه بأي شكل من الأشكال، وضمنت له سلامة نفسه وعرضه وماله، فالإنسان في الشريعة الإسلامية إنسان مجرد عن كل الاعتبارات الدينية أو العرقية أو الاجتماعية... وخير من طبق هذا هو سيد الخلق أجمعين رسول الله (صلى الله عليه وسلم)؛ إذ أمر بالاهتمام بالإنسان من حيث كونه إنسانًا، دون اعتبار لجنس أو لون أو موطن... ووضع في ذلك القواعد والضوابط المنظمة التي تضمن سلامته وتحافظ على كرامته... سواء أكان مسلمًا أم غير مسلم، ذكرا أم أنثى، عربيًّا أم أعجميًّا، حيًّا أم ميتًا..

ومن أجل إظهار إنسانية الإنسان في السنة النبوية فكرت في عمل هذا البحث الموجز، واخترت موضوع (التعامل مع الغير) نموذجًا؛ لبيان أن السنة النبوية اهتمت بالإنسان من حيث كونه إنسانًا مجردًا من أي اعتبارات دينية أو جنسية أو اجتماعية أو عرقية.. أو غيرها، وذلك لتقديمه لندوة الحديث النبوي الشريف في دورتها الحادية عشرة والتي تقيمها جامعة الوصل بدولة الإمارات العربية الشقيقة، بعنوان: (إنسانية الإنسان في السنة النبوية: قيم كونية وضوابط شرعية) والبحث خاص بالمحور الثالث: إنسانية الإنسان في السنة النبوية: القيم والإرشادات.

أهمية الدراسة:

تأتي أهمية هذه الدراسة من أهمية الموضوع نفسه، فالموضوع يتعلق بأشرف العلوم بعد علوم القرآن الكريم وهو السنة النبوية، وإنه لشرف عظيم أن أحظى بعمل دراسة تتعلق بالسنة النبوية، خاصة وأن هذه الدراسة تلمس جانبًا مهمًّا من جوانب حياتنا ألا وهو تعامل الإنسان مع غيره من بني البشر، فقد رسمت السنة النبوية قواعد وضوابط تعامل البشر مع غيرهم، متناولة في ذلك الجانب الروحي للإنسان، ومُعَالِجة الجانب المادي، فكلنا يعلم أن النظريات المادية أغفلت الجانب الروحي للإنسان، واهتمت بالجانب المادي البحت، فأصبح الإنسان كالآلة الصماء، يقوم بتنفيذ ما يؤمر به دون مراعاة لمن حوله من بني البشر، وبناء على ذلك أصبح كثير من البشر مجردين من الإنسانية، أما السنة النبوية فقد اهتمت بالإنسان من حيث كونه إنسانًا مجردًا من أي اعتبارات دينية أو اجتماعية أو جنسية أو عرقية أو غيرها، وبذلك تكون السنة النبوية قد أَبْرَزَت القيم الكونية الراعية لإنسانية الإنسان، فعالجت الجانب المادي ودعَّمت الجانب الروحي، ولو اتبعنا ما جاء في السنة النبوية من قيم وإرشادات في تعامل البشر مع غيرهم، لنجونا جميعًا، ولعاش الجميع في سلام وأمان، وهذا ما سيتم إيضاحه في صفحات هذا البحث بإذن الله تعالى.

وقد جاء هذا البحث ليوضح مظاهر إنسانية الإنسان في السنة النبوية سواء أكان هذا الإنسان رجلًا أم امرأة أم زوجة أم أبناء، وأيا كانت مهنته، وأيا كانت ديانته، حيًّا كان أم ميتًا، إنسانًا مجردًا من كل الاعتبارات.

ومن مظاهر إنسانية الإنسان في السنة النبوية أنها اهتمت بالإنسان باعتباره المحور الأول في هذه الحياة؛ لذا فقد وضَّحت السنة النبوية خصائص إنسانية الإنسان، وبيّنت مقوماتها ومنهج حفظها وترشيدها، وبذلك تكون السنة النبوية قد عالجت الإنسان من جميع الأمراض المعنوية التي قد تصيبه من فرط طغيان

النظريات المادية التي أصبحت مسيطرة على العالم أجمع، والتي أغفلت الجانب الروحي له، واهتمت بالجانب المادي البحت، فاختفت القيم والأخلاق الحميدة بين البشر، وأصبح الإنسان كالآلة الصماء، التي تعمل دون تفكير، وكل همه تحقيق النتائج المطلوبة أيًّا كان الأمر، دون أدنى تفكير فيمن حوله، هذه النظريات المادية قامت بقتل الإنسانية الموجودة داخل الإنسان والتي خلقه الله بها وفطره عليها، وفي السنة النبوية علاج لكل هذه الأمراض، فقد أعادت السنة النبوية للإنسان إنسانيته، وحرّرته من القيود المادية التي حاوطته، وفي اتباع نهجها الخلاص والملاذ.

ومن مظاهر إنسانية الإنسان في السنة النبوية أن النبي (ﷺ) راعى ظروف البشر وأحوالهم، فأراد أن يخفف ما بهم من آلام وأوجاع، وحاول إزالة ما في نفوسهم من ضيق وحزن، متخذًا في ذلك أبسط الأشياء، وهي الكلمة الطيبة، قائلا: «الكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ».

ولم يقف الأمر عند هذا الحد فقد جعل النبي (ﷺ) التبسم في وجه الآخرين صدقة يؤجر عليها صاحبها؛ لأن التبسم في وجه الآخرين يشعرهم بسعادة كبيرة، أو يخفف ما بهم من أَلَم أو ضيق أو هَمٍّ، فالتبسم جالب للود منافٍ للكبر، وقد جعل النبي (ﷺ) التبسمً في وجه الآخرين- وهو أبسط الأمور- صدقة، قائلا: «تَبَسُّمُكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ لَكَ صَدَقَةٌ».

ومن مظاهر إنسانية الإنسان في السنة النبوية أنها اهتمت بالإنسان في جميع حالاته وظروفه، فاهتمت بالأسرة باعتبار أن الإنسان هو المحور الأساسي في تكوينها، فأمر النبي (ﷺ) بحسن المعاشرة بين الزوجين، وإظهار الحب والمودة بينهما، ونهى عن إساءة أيٍّ من الزوجين للآخر أو إهانة أحدهما للآخر، وبيّن أن كل ما يفعله الإنسان-سواء أكان رجلًا أم امرأة- من معروف في أسرته فهو يؤجر ويثاب عليه.

ظهر من خلال البحث كيف عَامَل النبي (ﷺ) وهو المثل والقدوة- جميع البشر، فعلى الرغم من حياته المليئة بالمسؤليات والالتزامات إلا أنه كان أفضل زوج، وأفضل أب، وأفضل قائد أسرة في التاريخ كله، فلم تمنعه هذه المسؤوليات والالتزامات من رعاية أسرته، وإعطاء كل فرد فيها حقه، ولم يقتصر الأمر على حسن معاملته لزوجاته فقط، بل أوصى (صلوات ربي وسلامه عليه) بنساء العالمين خيرًا، قائلًا: «اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا».

ومن مظاهر إنسانية الإنسان في السنة النبوية أيضًا أنها عملت على توطيد العلاقة بين الوالدين والأبناء، فأمرت بحسن المعاملة، والبر بينهما، حتى وإن كان أحدهما كافرًا، فلم يأمر النبي (ﷺ) بقطع الرحم الكافرة، لكن أمر بالتوسط والاعتدال في معاملتها، وأمر بصلتها وودها، فقال لأَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ (رضي الله عنها) لما سألته أتصل أمها؟ - وكانت كافرة- قال: «نَعَمْ صِلِيهَا»، فلم يفرق النبي (ﷺ) بين كونها مسلمة أو كافرة، ولكن تعامل معها على اعتبار أنها إنسان فهي أم ولها حق على ابنتها؛ لأن صلة الرحم أنجع فى سياسة النفوس، وأحمد عاقبة، وهنا تتجلى مظاهر إنسانية الإنسان في أروع وأجمل وأبهى صورها.

وكذلك من مظاهر إنسانية الإنسان في السنة النبوية أن النبي (ﷺ) أمر بحسن معاملة الإنسان أيًّا كانت مهنته، حتى وإن كان خادمًا أو أجيرًا، فأمر بالتلطف معه، والرفق به، ومراعاة مشاعره، وعدم تكليفه بما لا يطيق من الأعمال، ولم يقف الأمر عند هذا الحد كما أحاطت حق الأجير بضمانات متعددة، منها: الرضا والطواعية، فلا يجوز الإكراه على العمل، ولا إلحاق الظلم بالأجير، ولا منعه حقه أو المماطلة في أدائه، أو استيفاء منفعة منه بغير عوض، وينبغي أن يكون الأجر عادلا متمشيًا مع العرف السائد في البلد، كما أمر بإعطاء الأجير حقه قبل أن يجف عرقه، بل إنه صلوات ربي وسلامه عليه اعتبر عدم إعطاء الأجير أجره ومنعه منه بالكلية من كبائر الذنوب. ولم يقتصر الأمر على ذلك بل أمر بإعلام

الأجير بأجره قبل البدء في العمل؛ تجنبا للخصام أو الشجار الذي قد يحدث بين صاحب العمل والأجير.

إن مظاهر إنسانية الإنسان في السنة النبوية شملت كل أمور الحياة، حتى التعامل مع الجار، فقد أمر النبي (ﷺ) بحسن معاملة الجار، والإحسان إليه، وذلك بالوقوف جانبه في السراء والضراء ومساعدته ومعاونته على أمور الحياة، ومراعاة شعوره، كما أمر بالتهادي بين الجيران، والمعاونة على أمر المعيشة... وما إلى ذلك من أمور تؤكد على عظم حق الجار.

ومن مظاهر إنسانية الإنسان في السنة النبوية أيضًا: أن النبي (ﷺ) لم يهتم بالمسلمين فقط، وإنما كان اهتمامه بالناس جميعا، ولمَ لا؟! وقد أرسله الله تعالى رحمة للناس كافة في مشارق الأرض ومغاربها، وحتى قيام الساعة، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ (الأنبياء: ١٠٧)، فكانت رسالته رحمة للإنسانية جمعاء، جاء بالحنيفية السمحة؛ رحمة للعالمين، وهذه الرحمة لها صور وأشكال متعددة من الود والحب والتسامح والعفو والإيثار...وغيرها.

ومن مظاهر إنسانية الإنسان في السنة النبوية أيضًا: أن النبي (ﷺ) لم يهتم بالإنسان حال حياته فقط، بل بعد مماته كذلك، فأمر بتغسيل الميت وتكفينه ودفنه، وحرّم الاعتداء على جثته، ونهى عن كل ما كان فيه أذى للميت حتى ولو كان معنويًّا، فنهى عن سب الأموات؛ وذلك لأن أعراض المسلمين مصانة في الحياة وبعد الممات، بل إن عرض الميت أولى بالحرمة والصيانة؛ لعجزه عن الدفاع عن نفسه.

مما سبق يتضح أن الإنسان في السنة النبوية إنسان مجرد من كل الاعتبارات الدينية أو الجنسية أو العرقية... فقد استطاع سيدنا محمد (ﷺ) بحسن أخلاقه وكريم طبعه في تعامله مع البشر، أن يبني إنسانًا راقيًا محبًّا لغيره، متجردًا من

الحقد والغل والأنانية، يعلم ما له من حقوق، ويؤدي ما عليه من واجبات، وأنه لا فرق بين إنسان وغيره إلا بالتقوى والعمل الصالح، قال رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَلَا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ، أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ، وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ، وَلَا أَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ، وَلَا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ، إِلَّا بِالتَّقْوَى» فالتقوى هي الميزان الذي يقاس به أفضلية العبد عن غيره.

وبهذه الأخلاق النبوية العظيمة، وبهذا التعامل الإنساني الراقي الذي عامل به النبي (ﷺ) كافة البشر، دانت له مشارق الأرض ومغاربها، واستطاع بهذه الأخلاق أن يكوِّن أكبر دولة في ذلك الوقت، وعلى الرغم من اختلاف طوائف هذه الدولة واختلاف طباع أهلها، فإن الجميع عاش في سلام وأمان ومحبة. وبذلك تكون السنة النبوية قد وضعت القواعد والضوابط المُرشِّدة لإنسانية الإنسان في بعدها السلوكي والفكري.

وأخيرًا، أوصي بالتمسك بكتاب الله وسنة نبيه (ﷺ)؛ لأنه لا مخرج من الأزمات الراهنة، ولا صلاح لحال الأمم إلا بالتمسك بهما والعمل بما فيهما، وفقنا الله وإياكم لما يحب ويرضى، وجعلنا سببًا في نشر تعاليم هذا الدين الوسطي الحنيف البعيد عن التشدد والتعصب والمغالاة.

والله أسأل أن يجعل عملي هذا خالصًا لوجهه الكريم، وأن يستر العيب، ويسد الخلل، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

مجالات إنسانية المرأة في السنة النبوية

أ. د. هند بنت مصطفى بن محمد الطيب شريفي

جامعة طيبة – السعودية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسوله ومصطفاه، وبعد،،

فإن للدين الإسلامي سمت راقٍ ومنهج متميّز في التعامل مع المرأة، وإبراز إنسانيتها، حيث بوّأها منزلة كريمة وشملها بالرعاية والتقدير في جميع مراحل حياتها، وهذا التكريم ينمو ويزيد كلما تقدّم بها العمر، فتكون طفلة ثم يافعة ثم زوجة ثم أُمًّا، وأمر بإكرامها بمزيد من الحب والحنوّ والإحسان والتوقير عند كبر سنها وضعفها.

وقد كان هدي الرسول (ﷺ) في تعزيز إنسانية المرأة من أفضل الهدي وأكمله، والمتأمل في تعامله الشريف مع نسائه، أو بناته، أو نساء المؤمنين؛ يدرك أنه كان نعم الزوج، وكان مضرب المثل في الحنوّ على بناته، كما كان نموذجًا حيًّا في تعزيز مكانة المرأة، وقد تكررت وصيته (ﷺ) للمسلمين بالنساء، ومن أبرز تلك المواطن خطبة حجة الوداع، حيث قال (ﷺ) في خطبته قال: (ألا واسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا،..).

وقد اعتنى النبي (ﷺ)بإنسانية المرأة وعاملها بالبر والإحسان في أعلى صوره، وقد عاش (ﷺ) العلاقة الزوجية السامية، إحسانًا وعدلًا وبرًّا ووفاءً لزوجاته، في حياتهن وبعد مماتهن - رضي الله عنهن -، وقد بيّن (ﷺ)أساس هذه العلاقة الخيّرة بقوله: (خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ، وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي) ومن صور عنايته بإنسانية المرأة إفصاحه عن حبه لخديجة - رضي الله عنها - بقوله: (إِنِّي قَدْ رُزِقْتُ حُبَّهَا)، وكذلك تودّده لزوجاته بفعل ما يسرّ قلبهن من أنواع الملاطفة والمداعبة، تقول إحداهن: (كُنْتُ أَشْرَبُ وَأَنَا حَائِضٌ، ثُمَّ أُنَاوِلُهُ النَّبِيَّ (ﷺ) فَيَضَعُ فَاهُ عَلَى مَوْضِعِ فِيَّ، فَيَشْرَبُ، وَأَتَعَرَّقُ الْعَرْقَ وَأَنَا حَائِضٌ، ثُمَّ أُنَاوِلُهُ النَّبِيَّ (ﷺ) فَيَضَعُ فَاهُ عَلَى مَوْضِعِ فِيَّ). وتبرز قمة مراعاته لظروفها في تعاونه مع زوجه في

شؤون المنزل، وقد وُصف بأنه: (كَانَ يَكُونُ فِي مِهْنَةِ أَهْلِه -تَعْنِي خِدْمَةَ أَهْلِه- فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلاَةُ خَرَجَ إِلَى الصَّلاَةِ)، حتى وصفه الصحابة الكرام (رضي الله عنهم) بالسمو الإنساني وأجمل وصف عند مراعاته لمشاعر عائشة - رضي الله عنها - بقولهم: (وَكَانَ رَسُولُ اللهِ (ﷺ) رَجُلًا سَهْلًا، إِذَا هَوِيَتِ الشَّيْءَ تَابَعَهَا عَلَيْه). ومن مراعاته لإنسانية المرأة تجنب التشديد عليها أو إلزامها بما يصعب عليها، أو تصيّد زلّتها، بل كان إنسانًا رحيمًا، يراعي المرأة ويخفّف عنها حتى عند توقع المشقة، فيقول: (إِنِّي لَأَدْخُلُ فِي الصَّلاَةِ وَأَنَا أُرِيدُ إِطَالَتَهَا، فَأَسْمَعُ بُكَاءَ الصَّبِيِّ، فَأَتَجَوَّزُ فِي صَلاَتِي مِمَّا أَعْلَمُ مِنْ شِدَّةِ وَجْدِ أُمِّهِ مِنْ بُكَائِه).

ومن نماذج مراعاته لإنسانية المرأة التي تخطئ وتصيب؛ أن رِفْقَه ولينه بها لم يمنعاه من الاحتساب عليها بحكمة عند وقوع المنكر، كموقفه من عائشة - رضي الله عنها -، تقول: (دَخَلَ عَلَيَّ النَّبِيُّ (ﷺ) وَفِي البَيْتِ قِرَامٌ فِيهِ صُوَرٌ، فَتَلَوَّنَ وَجْهُهُ ثُمَّ تَنَاوَلَ السِّتْرَ فَهَتَكَهُ، قَالَتْ: قَالَ النَّبِيُّ (ﷺ) (إِنَّ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ القِيَامَةِ الَّذِينَ يُصَوِّرُونَ هَذِهِ الصُّوَرَ)، وقد يوقع العقوبة إذا اقتضى الأمر كإقامة حد القطع على المرأة المخزومية التي سرقت، وقد حفظت لنا السنة النبوية حثّه النساء على ضبط سلوكهن، والاعتراف بالفضل والرضا، فقال: (وَرَأَيْتُ النَّارَ، فَلَمْ أَرَ كَاليَوْمِ مَنْظَرًا قَطُّ، وَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا النِّسَاءَ) ... قَالَ: (يَكْفُرْنَ العَشِيرَ، وَيَكْفُرْنَ الإِحْسَانَ، لَوْ أَحْسنْت إِلَى إِحْدَاهُنَّ الدَّهْرَ، ثُمَّ رَأَتْ مِنْكَ شَيْئًا، قَالَتْ: مَا رَأَيْتُ مِنْكَ خَيْرًا قَطُّ)، ويأمر المسلمين بالعدل إنصافًا وموازنة بين إيجابياتها وسلبياتها، بقوله (ﷺ): (لَا يَفْرَكْ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةً، إِنْ كَرِهَ مِنْهَا خُلُقًا رَضِيَ مِنْهَا آخَرَ)، وهذه الوصية نموذجًا سامقًا في عنايته بإنسانيتها.

وكان رسول الله (ﷺ) من أعظم الناس رحمةً ومواساةً لأصحابه رجالا ونساء، وخاصة مع ذوات الحاجات من النساء، ومن نماذج عنايته بإنسانية المرأة، في إكرامه لمن أصيبت بمصيبة، فقد كان يخص به أم سليم - رضي الله عنها -

بالرعاية وكثرة الزيارة، رحمة وعطفًا عليها، وقَالَ: (إِنِّي أَرْحَمُهَا قُتِلَ أَخُوهَا مَعِي). ومن مراعاة إنسانية المرأة تقديم البشارة لها بالخير الدنيوي والأخروي، تخفيفًا عمن أصيبت بمرض أو خوف أو قلق، بما يعيد لها الهدوء والطمأنينة، ويدخل السرور إلى قلبها، كبشارته لخديجة - رضي الله عنها -: فقد (بَشَّرَهَا بِبَيْتٍ فِي الْجَنَّةِ مِنْ قَصَبٍ لَا صَخَبَ، فِيهِ وَلَا نَصَبَ)، ويبشّر المسلمات بالجنة، فقال: (أَيُّمَا امْرَأَةٍ مَاتَ لَهَا ثَلَاثَةٌ مِنَ الوَلَدِ، كَانُوا حِجَابًا مِنَ النَّارِ)، قَالَتِ امْرَأَةٌ: وَاثْنَانِ؟ قَالَ: (وَاثْنَانِ). ومن صور تقديره للمرأة وثقته بحكمتها استشارتها والأخذ برأيها في الأمور العظيمة، وقد فعله (ﷺ) مع أم سلمة - رضي الله عنها - لما أخذ بمشورتها في صلح الحديبية قالت: (يَا نَبِيَّ اللَّهِ، أَتُحِبُّ ذَلِكَ، اخْرُجْ ثُمَّ لاَ تُكَلِّمْ أَحَدًا مِنْهُمْ كَلِمَةً، حَتَّى تَنْحَرَ بُدْنَكَ، وَتَدْعُوَ حَالِقَكَ فَيَحْلِقَكَ).

إن تأكيد إنسانية المرأة في الإسلام شمل جميع جوانب حياتها، وهذا الأمر يحتاج إلى ممارسة عملية تطبيقية من مبلّغ رسالة الإسلام (ﷺ)، فهو القدوة التي يُقتدى بها، سواء في تعامله مع المرأة بشكل مباشر في مجالات الحياة المختلفة، أو بشكل غير مباشر مثل توجيهاته المأثورة عنه في الإحسان إليها، وإيفائها حقوقها، كما جاء في حجة الوداع لما قال: (أَلَا وَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا،.. أَلَا إِنَّ لَكُمْ عَلَى نِسَائِكُمْ حَقًّا، وَلِنِسَائِكُمْ عَلَيْكُمْ حَقًّا، فَأَمَّا حَقُّكُمْ عَلَى نِسَائِكُمْ فَلَا يُوطِئْنَ فُرُشَكُمْ مَنْ تَكْرَهُونَ، وَلَا يَأْذَنَّ فِي بُيُوتِكُمْ لِمَنْ تَكْرَهُونَ، أَلَا وَحَقُّهُنَّ عَلَيْكُمْ أَنْ تُحْسِنُوا إِلَيْهِنَّ فِي كِسْوَتِهِنَّ وَطَعَامِهِنَّ..).

وإنسانية الخطاب الديني للمسلمين في توضيح أن التكليف والجزاء يشمل الرجال والنساء على حد سواء، فهما سواء في الإنسانية، ومن أجمل الصور التي تبرز المساواة بينهما في جانب العبادة قوله (ﷺ): (رَحِمَ اللهُ رَجُلاً قَامَ مِنَ اللَّيْلِ فَصَلَّى وَأَيْقَظَ امْرَأَتَهُ فَإِنْ أَبَتْ نَضَحَ فِي وَجْهِهَا المَاءَ، رَحِمَ اللهُ امْرَأَةً قَامَتْ مِنَ اللَّيْلِ فَصَلَّتْ وَأَيْقَظَتْ زَوْجَهَا فَإِنْ أَبَى نَضَحَتْ فِي وَجْهِهِ المَاءَ). وكان (ﷺ) حريصًا

على تعزيز قيمة الوسطية والاعتدال في السلوك الديني لدى المرأة، لتسلم من الغلو أو التقصير، وهذا سموّ بإنسانيتها، فقد دخل النبي (ﷺ) المسجد فَإِذَا حَبْلٌ مَمْدُودٌ بَيْنَ السَّارِيَتَيْنِ، فَقَالَ: "مَا هَذَا الحَبْلُ؟" قَالُوا: هَذَا حَبْلٌ لِزَيْنَبَ فَإِذَا فَتَرَتْ تَعَلَّقَتْ، فَقَالَ النَّبِيُّ (ﷺ): "لاَ، حُلُّوهُ لِيُصَلِّ أَحَدُكُمْ نَشَاطَهُ، فَإِذَا فَتَرَ فَلْيَقْعُدْ".

وفي مجال الأخلاق يبرز تقدير إنسانية المرأة في احترام مشاعرها معيارًا لخلق الرجل فيقول: (أَكْمَلُ المُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا، وَخَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِنِسَائِهِمْ). فهو مثل يضرب في الوفاء لزوجه خديجة وذكرها بالخير، وفي العدل بين زوجاته وإيفائهن حقوقهن وحسن عشرتهن، تقول أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها -: (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) إِذَا أَرَادَ سَفَرًا أَقْرَعَ بَيْنَ نِسَائِهِ، فَأَيَّتُهُنَّ خَرَجَ سَهْمُهَا خَرَجَ بِهَا مَعَهُ، وَكَانَ يَقْسِمُ لِكُلِّ امْرَأَةٍ مِنْهُنَّ يَوْمَهَا وَلَيْلَتَهَا).

كما تظهر مراعاته لفطرة المرأة الإنسان في حرصه (ﷺ) على الوفاء بحقوق العشرة بالمعروف، وتروي زوجه - رضي الله عنها - صورة جميلة تجمع بين إشباع الغريزة مع إشباع العاطفة، وتقول: (وَكُنْتُ أَغْتَسِلُ أَنَا وَالنَّبِيُّ (ﷺ) مِنْ إِنَاءٍ وَاحِدٍ مِنَ الجَنَابَةِ). ومن الحاجات الفطرية التي راعاها ما روته عائشة - رضي الله عنها -: (كَانَ الحَبَشُ يَلْعَبُونَ بِحِرَابِهِمْ، فَسَتَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) وَأَنَا أَنْظُرُ، فَمَا زِلْتُ أَنْظُرُ حَتَّى كُنْتُ أَنَا أَنْصَرِفُ)، فَاقْدُرُوا قَدْرَ الجَارِيَةِ الحَدِيثَةِ السِّنِّ، تَسْمَعُ اللَّهْوَ)، وكان (ﷺ) يستغل المناسبات المختلفة ليبادر إلى إدخال السرور إلى نفس زوجه، ببعض أنواع من اللهو الجائز، فهو يسابق عائشة - رضي الله عنها -حتى يسبق أحدهما فيسبقه المرة الأخرى بها، فسبقها (فَجَعَلَ يَضْحَكُ، وَهُوَ يَقُولُ: (هَذِهِ بِتِلْكَ).

وقد مرّت المرأة في المجال الاجتماعي بنقلة هائلة أثناء تحوّلها من المجتمع الجاهلي إلى المجتمع المسلم، الذي قدّر إنسانيتها ومكانتها، فقرر لها حقوقها الإنسانية كاملة دون ظلم أو نقص، فأقرّ حقّها في العمل والكسب، كما أتاح لها

المشاركة في بناء المجتمع وتنميته ليضفي بُعْدًا إنسانيًا وإيمانيًا لأعمالها التي تقدّمها، وقد أكّدت السنة النبوية الأدوار الفعالة التي يمكن أن تساهم فيها المرأة كالمجالات الدعوية، والاجتماعية، والتعليمية والاقتصادية وغيرها، فقد كانت المرأة حاضرة في بيعة العقبة الثانية، وكانت مع المهاجرين في الهجرة إلى الحبشة ثم إلى المدينة، وكانت أهلا لأن تؤتمن على سر هجرة النبي (ﷺ) وصاحبه، كما شاركت في غزوات النبي (ﷺ) وكذلك في تحقيق التكافل الاجتماعي الأسري، ووجّهها لتقديم الخير للمسلمين وفعل المعروف حتى في الأوقات الحرجة، فأجاز للمعتدّة الخروج لجذّ نخلها، فقال: (بَلَى فَجُدِّي نَخْلَكِ، فَإِنَّكِ عَسَى أَنْ تَصَدَّقِي، أَوْ تَفْعَلِي مَعْرُوفًا).

وفي المجال النفسي الإنساني نقلت لنا سنته المطهرة حرصه على تعزيز ثقة المرأة بنفسها، فهو يزرع الأمل والتفاؤل في قلبها، ويبتعد عن الإساءة والتجريح، ويظهر هذا جليًّا في إظهار فضل المرأة سواء في الدنيا أو في الآخرة، فيقول: (خَيْرُ نِسَائِهَا مَرْيَمُ ابْنَةُ عِمْرَانَ، وَخَيْرُ نِسَائِهَا خَدِيجَةُ)، ويقول عن ابنته فاطمة – رضي الله عنها –: (فَاطِمَةُ سَيِّدَةُ نِسَاءِ أَهْلِ الجَنَّةِ)، وكان منه الثناء على خصال المرأة الحميدة، كمدحه لنساء قريش بما فيهنّ من خصال الخير بقوله: (نِسَاءُ قُرَيْشٍ خَيْرُ نِسَاءٍ رَكِبْنَ الإِبِلَ، أَحْنَاهُ عَلَى طِفْلٍ، وَأَرْعَاهُ عَلَى زَوْجٍ فِي ذَاتِ يَدِهِ). وكان (ﷺ) يلبي دعوة من تدعوه لزيارتها أو طعامها، فعن أنس (رضي الله عنه) (أَنَّ جَدَّتَهُ مُلَيْكَةَ دَعَتِ النَّبِيَّ (ﷺ) لِطَعَامٍ صَنَعَتْهُ لَهُ، قَالَ: فَأَكَلَ، ثُمَّ قَالَ: (قُومُوا فَلِأُصَلِّيَ لَكُمْ..).

أما في المجال الحقوقي فإن حفظ الحقوق سمة من سمات الدين الإسلامي، الذي كرّم المرأة واعتنى بإنسانيتها، وقد كان (ﷺ) قدوة في تطبيق قيمة العدل والإنصاف، ومعلّمًا للرجال والنساء وقد ذكّر وأوصى الصحابة بقوله: (وَإِنَّ لِزَوْجِكَ عَلَيْكَ حَقًّا). ومن الحقوق الإنسانية التي حظيت بها المرأة (حق الذمة المالية)، فقد كانت المرأة تعمل في عهد النبوة تكسبًا كما كانت تعمل تطوعًا ،

وكانت تنفق في خدمة دينها، وقد كانت خديجة - رضي الله عنها - امرأة تاجرة ذات مال، وكانت تواسيه (ﷺ) بمالها وتنفق عليه كي يتفرغ للدعوة، وقد كان لهذا أثر كبير في حصول السكن النفسي له، ومن ثنائه عليها (ﷺ): (قَدْ آمَنَتْ بِي إِذْ كَفَرَ بِي النَّاسُ، وَصَدَّقَتْنِي إِذْ كَذَّبَنِي النَّاسُ، وَوَاسَتْنِي بِمَالِهَا إِذْ حَرَمَنِي النَّاسُ، وَرَزَقَنِي اللهُ (ﷺ) وَلَدَهَا إِذْ حَرَمَنِي أَوْلَادَ النِّسَاءِ)، كما يعتبر رأيها ورغبتها في موضوع مهم وهو: الزواج، فمنع إجبارها على الزواج بمن لا ترغب فيه فقال: (لا تُنْكَحُ الأَيِّمُ حَتَّى تُسْتَأْمَرَ، وَلا تُنْكَحُ الْبِكْرُ حَتَّى تُسْتَأْذَنَ)، قالوا: يا رسول الله، وكيف إذنها؟ قال: (أَنْ تَسْكُتَ)، كما ردّ نكاح التي زُوجت بغير رضاها لما كرهت ذلك.

منظومة القيم

مدخل أساسي لبناء إنسانية الإنسان في السنة النبوية

د. خديجة بوسبع

أستاذة التعليم الثانوي التأهيلي – المغرب

الحمد لله والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله ومن سار على نهجه واهتدى بهديه إلى يوم الدين، وبعد:

بادئ ذي بدء أتقدم بأوفى الشكر وأجزله، وأخلص العرفان وأوفره، لسعادة جمعة الماجد مؤسس جامعة الوصل، ورئيس مجلس أمنائها، كما أشكر مركز بحوث السنة النبوية والمنتسبين إليه.

لقد خلق الله تعالى الإنسان، واختصه من بين المخلوقات بمجموعة من الميزات؛ منها: أنه خَلَقه بيديه، ونفخ فيه من روحه، وأسجد الملائكة له تكريمًا وتشريفًا، ووهبه العقل والإرادة، وسخر له المخلوقات، وأرسل له الرسل لإخراجه من الظلمات إلى النور، وختمهم بنبينا محمد (ﷺ) لإتمام مكارم الأخلاق التي هي أساس بقاء الإنسان على إنسانيته أبد الدهر.

والمتأمل في السنة النبوية يجدها تشكل منظومة قِيَميَّة متكاملة لبناء إنسانية الإنسان في جميع مجالات الحياة ومستجداتها، وتقدم نموذجًا فريدًا لإعداد مجتمع متوازن؛ يحفظ حق الخالق وحق النفس وحق الغير وحق البيئة.

ونظرا لأهمية هذا الموضوع فقد أردت المشاركة ببحثي الموسوم بـ«منظومة القيم مدخل أساسي لبناء إنسانية الإنسان في السنة النبوية».

فمنظومة القيم التي تشكل الإطار المرجعي، والمدخل الرئيس لبناء إنسانية الإنسان، وحمايتها عن تأثير مستجدات الحياة، سبقت السنة النبوية إلى تطبيقها وتفعيلها في المجتمع الذي كان يتعطش إلى أن ينعم كل فرد منه بإنسانيته التي خلق عليها، لسبب فساد وظلم وخوف كان ينتشر فيما بينهم.

ومن تلك القيم: قيمة التوحيد، وقيمة العدل، وقيمة الحرية، وقيمة الاعتدال والوسطية، وقيمة التعاون والتكافل، وقيمة الأخلاق.

أما قيمة التوحيد فهي المنطلق الرئيس لبناء إنسانية الإنسان، وهي الأساس الذي يحرر الإنسان من مختلف أشكال العبودية لغير الله تعالى، وتحفز العقول على التأمل والتفكر في ملكوت الله تعالى وآياته الدالة على ربوبيته ووحدانيته. ودفعهم إلى نبذ الخرافات، والعصبية الجاهلية. فقيمة التوحيد الكابحة للوساوس الشيطانية التي تدفع الإنسان إلى أسفل السافلين، استطاع أن يحافظ على فطرته التي فطر الله الناس عليها.

وأما قيمة العدل فهي القيمة التي أوجبها الله ﷻ على نفسه، وأوجبها على عباده، وحرم عليهم الظلم حفظًا لحقوقهم؛ النفسية والجسدية والمالية؛ دون تمييز بين مسلم وكافر، فلا ينبغي الاعتداء عليه؛ قولًا أو فعلًا، بل وحتى إشارة؛ فعَنِ النَّبِيِّ (ﷺ)، فِيمَا رَوَى عَنِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَّهُ قَالَ: «يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا، فَلَا تَظَالَمُوا».

وأما قيمة الحرية التي توحي باحترام الإنسان، وتعطيه الاختيار في التعبير عن الآراء والأفكار والمعتقدات مع حمل المسؤولية أمام الله تعالى؛ ولذا، فإن السنة النبوية لا تضيق ذرعًا بتنوع الانتماء العقدي، ويستخلص ذلك من قوله تعالى: ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ ﴾[سورة البقرة: ٢٥٦]. ومن البند رقم (٢٥) من وثيقة المدينة: «لِلْيَهُودِ دِينُهُمْ وَلِلْمُسْلِمِيْنِ دِينُهُمْ»، فالحرية والمسؤولية أمران متلازمان يصنعان إنسانًا فاعلًا، وتتجلى مظاهر إنسانيته داخل مجتمعه، ومحيطه.

وإجمالا فلا استخلاف للأرض ولا لعمارتها في غياب قيمة الحرية، فبناء الإنسانية يقتضيها، فهي حق ملازم وضروري ليظل الإنسان في إنسانيته حتى يتمكن من أداء الواجب في هذه الحياة.

وأما قيمة الوسطية فهي من بين السمات المميزة للدين الإسلامي، التي تجعل المسلم مؤهلًا للشهادة على الآخرين مصداقًا لقوله تعالى:﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ

وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [سورة البقرة: ١٤٣]. وهي التي ترشد إلى التوازن في العقيدة والشريعة والمعاملات، والحقوق والواجبات الدينية والدنيوية، بل في جميع الجوانب المكونة للإنسان؛ الجسدية والروحية والعقلية والوجدانية.

وأما قيمة التعاون والتكافل فمن الواجبات الاجتماعية التي تحقق المصالح وتدفع المفاسد. فقد شبه النبي (ﷺ) أفراد المجتمع الإسلامي بالجسد الواحد، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ): «تَرَى الْمُؤْمِنِينَ فِي تَرَاحُمِهِمْ وَتَوَادِّهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ، كَمَثَلِ الْجَسَدِ، إِذَا اشْتَكَى عُضْوًا تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ جَسَدِهِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى».

ولم تقتصر هذه القيمة على المسلمين فقط، بل امتدت إلى الآخر كما هو الحال في وثيقة المدينة التي نصت في بنودها على تعاون المسلمين واليهود على العيش المشترك وعلى حماية أمن وسلامة الجميع ضد كل عدوان خارجي.

وتعد قيم الأخلاق من مقاصد بعثة خاتم الأنبياء والمرسلين (ﷺ)، وتبرز أهميتها في نفعها الذي لا ينحصر على صاحبها بل يتعداه إلى الآخر، ولولا حسن الأخلاق ما حسنت الأعمال والمعاملات.

والجدير بالذكر أن بناء إنسانية الإنسان يعد مطلبًا كونيًا لكن بضوابط شرعية، لذا فهو في حاجة إلى منهج متكامل، لا يعتريه نقص ولا قصور، كما هو الحال مع المناهج الوضعية، وهذا المنهج الكامل والمحيط بجميع جوانب الشخصية الإنسانية هو المنهج الرباني الذي أوحاه الله سبحانه وتعالى إلى رسول الله محمد (ﷺ).

ومن هذا المنهج: منهج الانتقاء؛ إذ قام رسول الله (ﷺ) بانتقاء القيم والأخلاق التي تلائم الفطرة الإنسانية؛ فأقرَّ وأثبتَ القيم الحميدة، ورفضَ وشجب الخصال الذميمة.

ومنه: منهج التخلية والتحلية؛ إذ قام (ﷺ) بتطهير النفوس وتخليتها من رواسب الجاهلية وتحليتها بالأخلاق الفاضلة.

ومنه: منهج التوازن، الذي اقتضى عدم تكليف الإنسان فوق طاقته، والتعامل معه بما يوافق احتياجاته وقدراته دون إفراط أو تفريط. بالإضافة إلى منهج التدرج الذي يراعي حال المكلفين، وخاصة في الإقلاع عن العادات السيئة والأخلاق الرذيلة التي ترسخت في النفوس الجاهلية، ويصعب الإقلاع عنها دفعة واحدة، فكان التدرج من أفضل المناهج لتغيير عقول الناس، وإحداث نقلة نوعية في حياتهم بغية إحياء الإنسانية في الإنسان.

ومن لم ينفع فيه السلوك الحسن، فإن منهج إقامة الحدود والعقوبات الشرعية كان علاجًا فاعلًا لكل من سولت له نفسه الاعتداء على غيره، وكان خير مساعد للحفاظ على إنسانية الإنسان؛ إذ يحمي الحياة من أن تسفك، والعقول من أن تخرب، والأعراض من أن تنتهك، والأموال من أن تؤكل بالباطل.

والملاحظ أن منهج السنة النبوية في تفعيل تلك المنظومة القيمية كان فريدًا من نوعه بصلاحه ودقته وفاعليته في كل زمان ومكان، وبذلك استطاع الرسول (ﷺ) بناء الجوهر الإنساني وتشكيل الشخصية المتكاملة، وإصلاحها نفسيًّا وخلقيًّا وروحيًّا واجتماعيًّا، مع إعداد مجتمع صالح ومتوازن تتجلى فيه مظاهر إنسانية الإنسان؛ سواء في التعامل مع الذات، أو مع الآخر، أو مع البيئة، وتواترت فيها روايات صحيحة وآثار حسنة.

وإجمالًا فإن منظومة القيم قد حظيت بمكانة مهمة في السنة النبوية، بوصفها من أهم المداخل الخالدة لبناء الإنسان النافع لنفسه ولمجتمعه ولمحيطه، وقد دلت على ذلك شواهد كثيرة من القرآن الكريم، وكذا السنة النبوية التي كانت بمثابة التطبيق العملي لهذه المنظومة، والتي استطاع بها الصادق الأمين محمد

(ﷺ) نقل الإنسان من عبادة الحجارة والأوثان إلى بانٍ للحضارة والعمران، بعد أن حرر عقل هذا الإنسان من المعتقدات الفاسدة، وأصلح علاقته بالخالق ثم بالآخرين. فكان بناء إنسانية الإنسان في السنة النبوية أولى من بناء العمران، فخراب العمران أهون من ضياع الإنسان الصالح لذاته ولغيره.

لذا فإن المسؤولية الكبيرة ملقاة على مختلف المؤسسات وعلى النخب المفكرة خاصة لاستخراج الجواهر الكامنة في القرآن الكريم والسنة النبوية، من القيم الإسلامية لإعادة بناء إنسانية الإنسان، وإحياء ما رث منها بغية انتشال البشرية من وحل الرواسب الجاهلية القديمة والحديثة.

وفي ختام هذا الملخص أسأل الله العلي القدير أن يجزي القائمين على هذه الندوة العلمية المباركة خير الجزاء، وأن يكلل مساعي الجميع بالتوفيق والسداد، فهو وحده سبحانه وتعالى الموفق والمعين.

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين.

تغيير الخلقة الإنسانية

التحديات والحلول دراسة في السنة النبوية

د. سهام عومارة

جامعة باتنة – الجزائر

تعد أفضلية خلقة الإنسان على خلقة الشيطان بداية الصراع الوجودي، لقوله تعالى: ﴿ قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ ٧٦ قَالَ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٞ ﴾ [ص: ٧٧-٧٦]، وبوصفها مَوضع التكريم والإحسان لقوله تعالى: ﴿ لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ ﴾ [التين: ٤]، فإن تعريضها للتغيير والتبديل قدح في التكريم الإلهي، وطاعة للتغرير الشيطاني، وقد حمل لواء الحرب عليها في هذا العصر الإنسان نفسه، بتغييرها بما لا يخطر على بَالِ الأولين، تحقيقًا للّذاته، وإشباعًا لرغباته؛ مما جعل تشخيص هذا الداء، ووصف الدواء مبتغى بحثي الموسوم بـ: «تغيير الخلقة الإنسانية، التحديات والحلول- دراسة في السنة النبوية-».

فالخلقة الإنسانية تواجه عدة تحديات سواء على المستوى المادي، أو النفسي، أو التصور الفكري:

فمن الناحية المادية نجد: استمرارية ظهور التغييرات الجزئية؛ فالمناهي النبوية عن بعض التغييرات الجزئية، ليست من باب الحصر؛ لأنها في ازدياد واطراد، لدخولها في عموم قوله ﷺ: «اصْبِرُوا، فَإِنَّهُ لاَ يَأْتِي عَلَيْكُمْ زَمَانٌ إِلَّا الَّذِي بَعْدَهُ شَرٌّ مِنْهُ، حَتَّى تَلْقَوْا رَبَّكُمْ»، وتزداد خطورة هذا التحدي اليوم، بإسهام الرجال في تغييرات الخلقة جزئيًّا كالنساء؛ لأن ارتباط النهي في السنة النبوية بما تفعله النساء من تغييرات محرمة جاء على الغالب، إلا أن الواقع يثبت دخول الرجال في دائرة النهي، حيث أصبح الرجال يغيرون خلقتهم كالنساء، وصولًا لتغييرها كليا؛ بسبب تطور الطب الجراحي، ما قد يؤثر في النسل الإنساني؛ لأن تحويل الرجل إلى امرأة، والمرأة إلى رجل فيه مانع من تحقيق التناسل المشروع، لينتهي الأمر بمنتهكي حرمة الخلقة الإنسانية إلى البهيمية والمثلية لقوله تعالى: ﴿ أَمۡ تَحۡسَبُ أَنَّ أَكۡثَرَهُمۡ يَسۡمَعُونَ أَوۡ يَعۡقِلُونَ إِنۡ هُمۡ إِلَّا كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ [الفرقان: ٤٤].

أما التحديات ذات الأبعاد النفسية، فهي أكثر خطورة، وذلك باتباع خطوات الشيطان التي تجعل العبد يُقبل على تغيير خلقته بوحي من الإنس والجن لقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [الأنعام: ١١٢]، ولا يتأتى ذلك إلا باتباع أهواء الأنفس المريضة الأمارة بالسوء واتخاذ هواها إلهًا من دون الله؛ لقوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ [الجاثية: ٢٣]، فيأتمر الإنسان بأوامر روحه الشريرة رغبة في الحصول على أحسن صورة.

في حين أن التحديات ذات الأبعاد التصورية الفكرية المؤثرة في العقول فتتمثل في: الانتصار لمبدأ الحرية المطلقة للتصرف في الأجساد والأشكال؛ دون أي مانع؛ مما أنتج فوضى خلاقة ومقننة تبنتها الحضارة الغربية، تأثرًا بالنظريات الفلسفية الباطلة اتجاه الجسد الإنساني، مخالفة للهدف الذي خُلق لأجله بتحقيق عبوديته لخالقه، في حين نجد على مستوى العالم الإسلامي التساهل في أحكام تغيير الخلقة عن طريق إصدار الفتاوى الشاذة التي أسهمت في ظهور هذا الداء في بلاد المسلمين برد أدلة السنة النبوية المحرمة لتغيير الخلقة أو تأويلها، زد على ذلك تأثير البيئات والثقافات المنحرفة؛ فالإنسان ابن بيئته عقديًّا وأخلاقيًّا لقوله ﷺ: «مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ، كَمَا تُنْتَجُ البَهِيمَةُ بَهِيمَةً جَمْعَاءَ، هَلْ تُحِسُّونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ»، فتَقبلُ التغييرات اللاحقة للخلقة الإنسانية يكون بحسب الانحراف الفطري للبيئات، والثقافات.

والمتأمل في السنة النبوية يجد أنها سباقة لوضع حلول لتلك التحديات السابق ذكرها، سواء بشكل وقائي أو علاجي، فدعت لأجل التوقي من داء تغيير الخلقة إلى تثبيت الفطرة الإنسانية من خلال عدة خصال نبوية جاء النص عليها في قوله النَّبِيِّ (ﷺ) قَالَ: «الْفِطْرَةُ خَمْسٌ - أَوْ خَمْسٌ مِنَ الْفِطْرَةِ - الْخِتَانُ، وَالِاسْتِحْدَادُ،

وَتَقْلِيمُ الْأَظْفَارِ، وَنَتْفُ الْإِبِطِ، وَقَصُّ الشَّارِبِ»، فتلك الخصال تضمن الحسن والجمال ولاريب.

كما أعطت السنة النبوية المفهوم الصحيح لحرية التصرف في الجسد طبقا للمسؤولية التي تناط بالإنسان اتجاه بدنه، لقوله ﷺ: «لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ القِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمُرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ، وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَ فَعَلَ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ، وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَ أَبْلَاهُ»، أما إذا لم تنفع وسائل الوقاية في الحد من تغييرات الخلقة تَدخل العلاج عن طريق تطبيق العقاب الشرعي، أو التداوي المباح، فعوقب المتشبه والمتخنث والمترجلة تعزيرًا؛ كما جاء في حديث أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُتِيَ بِمُخَنَّثٍ قَدْ خَضَّبَ يَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ بِالْحِنَّاءِ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا بَالُ هَذَا؟» فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، يَتَشَبَّهُ بِالنِّسَاءِ، فَأَمَرَ بِهِ فَنُفِيَ إِلَى النَّقِيعِ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلَا نَقْتُلُهُ؟ فَقَالَ: «إِنِّي نُهِيتُ عَنْ قَتْلِ الْمُصَلِّينَ»، ويعالج الخنثى المشكل بتعديل خلقته جراحيا كما أفتت به المجامع الفقهية المعاصرة.

وختاما توصلت إلى جملة من النتائج والتوصيات، أبرزها:

النتائج:

- تغيير خلقة الإنسان بلا داعٍ قدح في إنسانيته؛ سواء كان التغيير جزئيًّا أو كليًّا.
- تغيير خلقة الانسان تحفه عدة شبهات، وحجج فلسفية وجدلية، متعلقة بالحرية.
- الخلقة الإنسانية تواجهها تحديات معاصرة على المستوى المادي، والنفسي والتصور الفكري.

- تعد السنة النبوية سباقة لوضع حلول وقائية وعلاجية تحد من الاعتداء على الخلقة، بتثبيت الفطرة والعقوبة على مخالفتها
- التطور المذهل في الطب الجراحي أسهم في تجسيد كل ما يصبو إليه المعتدون على الخلقة الإنسانية.

التوصيات:

- أوصي نفسي والمسلمين والمسلمات بتقوى الله في خلقتهم، وعدم التعرض لها بالتغيير إلا وفق الضوابط الشرعية.
- أوصي بوضع قوانين موافقة للشرع ضابطة للتعديلات التي يباح فيها المساس بالخلقة لدواعي طبية ونفسية.
- أوصي بالعمل على إشاعة فقه التعامل مع الخلقة الإنسانية بين المسلمين، ورد الشبهات التي تساق حولها.
- أوصي بإعمال الرقابة التجارية على المنتوجات الوافدة من البلدان الغربية، المتعلقة بالتجميل، لثبوت ضررها على خلقة النساء.
- أوصي لمواجهة التحديات التي تواجه الخلقة بإعداد دراسات أكاديمية جامعة بين الجانب الشرعي، والفلسفي، أو الشرعي والطبي، أو الشرعي والقانوني، أو بينهما جميعا.
- أوصي بعدم التسرع في إخضاع الخنثى المشكل لعملية تعديل الخلقة إلا بعد تبين جنسه بعد البلوغ.

وآخر دعوانا الحمد لله رب العالمين

إنسانية الإنسان في ضوء السنة النبوية وتطبيقاتها في مجال العلاقات الدولية:
النزاعات المسلحة نموذجًا

د. سيد حسن عبد الله حسن عبد الله
جامعة الأزهر – مصر

الحمد لله العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، بنص قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾، رسول الإنسانية، والرحمة والمودة والسماحة والسلام، القائل في وصف نفسه-: «أَنَا رَحْمَةٌ مُهْدَاةٌ»، وبعد:

فإن «إنسانية الإنسان» في أعظم صورها المثالية، نبتت تحت ظلال الشريعة الإسلامية، واستقت قيَّمها من معين السنة النبوية، التي جاء بها خير البشرية، رحمة للعالمين، وخلاصًا من غلظة الجاهلية، وقسوتها، والحمد لله أن جاءت هذه الندوة كاشفة لهذه المعالم، من خلال هذا الطرح الطيب المبارك من مركز بحوث السنة النبوية، «ندوة الحديث الشريف» بإشراف مباشر ومشرف من هذا الصرح العلمي الكبير، جامعة الوصل بدبي، حفظ الله القائمين عليها، فقد جعلوا منها خير مدافع وظهير للسنة النبوية بمنهج وسطي راشد في التفكير وحسن التدبير.

لقد وجد القانون الدولي الإنساني ضالته في الأخذ بمبدأ الإنسانية كما جاءت به السنة النبوية، بل صاغ منها قواعده، وخاصة ما يتعلق منها بالتزام أطراف النزاع في كل الأوقات بوجوب التمييز بين المدنيين والمقاتلين، تجنبًا لإلحاق الأضرار بالسكان المدنيين والممتلكات المدنية، وعدم جواز مهاجمة السكان المدنيين في مجموعهم ولا المدنيين كأفراد، وحظر استخدام أسلحة أو أساليب حرب عشوائية الأثر، وحظر جرح أو قتل عدو بعد استسلامه أو من كف عن المشاركة في القتال، والالتزام بالبحث عن الجرحى والمرضى، وأن يتم جمعهم والاعتناء بهم في أقرب وقت تسمح به الظروف، وتوفير الأفراد العاملين في الخدمات الطبية والمرافق الطبية ووسائل النقل والمعدات.

وجميع هذه القيم الإنسانية خرجت من رحم السنة النبوية، حتى قال السيد / لوكا بيتر يديس- رئيس بعثة اللجنة الدولية للصليب الأحمر في النيجر) في (٢٥ / نوفمبر ٢٠١٥م معترفًا بأنّه في: «الوقت الذي تضاعف فيه عدد الأزمات الإنسانية المرتبطة بالنزاعات المسلحة والعنف، علينا أن نوسع دائرة الحوار

والقانون الدولي الإنساني ليشمل القواعد الأخرى، مثل الشرع والفقه الإسلامي لكي نوفر للضحايا حماية أوسع نطاقًا وأكثر فاعلية قدر الإمكان».

لقد اشتملت السنة النبوية على الكثير من مظاهر وجوه الإنسانية، في نطاق النزاعات المسلحة، أهمها:

أنّ الاختلاف في الدين ليس سببًا موجبًا للقتال، وأنّ أصل العلاقات الدولية في الإسلام هو السلم.

أنّ حماية الدعوة الإسلامية إنّما يكون في المقام الأول بتسليح الدعاة بسلاح العلم والحجة لا بسلاح القهر والغلبة.

أنّ الآلام في معترك الدعوة إلى الله تعالى وإن عظمت تبقى قوانين الصفح هي الحاكمة للمشهد، فما كان لها أن تتشفى من الخصوم وتقتل الأخضر واليابس، بل تصفح وتعفو، كما حدث في يوم فتح مكة من قانون الصفح والعفو من قائد البشرية: «يا معشر قريش، ما ترون أنّي فاعل فيكم؟ قالوا: خيرًا، أخ كريم، وابن أخ كريم، قال: «اذهبوا فأنتم الطلقاء».

حسن تربية النبي(ﷺ) لأصحابه على الوفاء بالعهد وعدم الغدر، وأن كل عهد جائز لا يحل نقضه سواء أكان بين مسلم ومسلم أم مسلم وغير مسلم؛ لِذَمِّ الله تعالى مَنْ نَقَضَ عَهْدَهُ، وتلك قمة الإنسانية، التي قال فيها خير البشرية ومعلم الإنسانية موصيًا قادة الجند: «تَأَلَّفُوا النَّاسَ، وَتَأَنَّوْا بِهِمْ، وَلَا تُغيرُوا عَلَيْهِمْ حَتَّى تَدْعُوهُمْ، فَمَا عَلَى الْأَرْضِ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ مَدَرٍ وَلَا وَبَرٍ، إِلَّا وَأَنْ تَأْتُونِي بِهِمْ مُسْلِمِينَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ تَقْتُلُوا رِجَالَهُمْ، وَتَأْتُونِي بِنِسَائِهِمْ». المطالب العالية لابن حجر، رقم: ٣٠١٩.

ويتسع نطاق البحث في مجال حماية المدنيين وغير المقاتلين في ضوء السنة

النبوية، وخاصة الأحكام المستنبطة من النصوص النبوية المنظمة لإجراءات سير الحرب، ومدى شمولها لمبدأ الإنسانية، وكيف أنها تحُول دون إراقة الدماء، وأن المقاتل المسلم لا يجوز له إذا اقتحم بيتًا من البيوت، في أرض العدو، أن يوجه على أصحابه السلاح بحجة أنه من أهل الكفر والحرب ممن استبيحت دماؤهم، ومن ذلك نهيه- عن قتل من لم يقاتل، فعن رباح بن ربيع: كُنَّا مَعَ رَسُولِ الله (ﷺ) فِي غَزَاة، فَمَرَّ بِامْرَأَة مَقْتُولَة وَالنَّاسُ عَلَيْهَا، فَقَالَ: مَا كَانَتْ هَذِه لِتُقَاتِلَ، أَدْرِكْ خَالِدًا فَقُلْ لَهُ: لَا تَقْتُلْ ذُرِّيَّةً، وَلَا عَسِيفًا. أبو داود، رقم: ٢٦٧٠، ولفظ العسيف أي الأجير، يشمل كل من يستأجره العدو للقيام بأعمال في ميدان المعركة، يشمل اليوم أفراد الخدمات الطبية المصاحبة لجيوش العدو، سواء أكانوا مدنيين أم عسكريين أم مراسلين حربيين، وكذلك العمال في المصانع، وعمال النظافة في الطرقات، والعمال الزراعيون واليدويون، فجميعهم يتمتعون بالحصانة الشرعية ضد توجيه السلاح عليهم، بشرط ألا تكون لهم صلة بالأعمال القتالية.

ويلحق به نهي النبي - عن التجويع ولو للأعداء، كوسيلة من وسائل «الحصار الاقتصادي»، وهو ما يتضح من قصة ثمامة(رضي الله عنه)، فقد أمره النبي «(ﷺ) أن يمير أهل مكة وهم حرب عليه». وفي هذا كله دليل على أنّ السنة النبوية سبقت النظم القانونية الدولية بتقرير مبدأ حصانة غير المقاتلين، وتقليل القتل وحسم سبيله عند الإمكان، وهو المبدأ الذي قرره البروتكول الأول الإضافي إلى اتفاقية جنيف المعقودة في ١٢ أغسطس ١٩٤٩ والمتعلقة بحماية ضحايا المنازعات الدولية المسلحة.

ومن جانب آخر: يظهر مبدأ إنسانية الإنسان في السنة النبوية في مجال حماية جثث الأعداء من التمثيل، فقد نهي النبي (ﷺ) التمثيل بجثث الأعداء، وهو نموذج لاحترام الكرامة الإنسانية، فالقتيل وإن كان عدوًّا إلاَّ إنه إنسان كرمه الله تعالى، قال تعالى: وَلَقَدْ كَرَّمْنا بَنِي آدَمَ، وتكريمًا للإنسانية نهى الإسلام أن

يقصد المقاتل ضرب العدو في وجهه أثناء القتال، احترامًا وصونًا لكرامته.

ومن وجوه الإنسانية في السنة النبوية أنّه أرشد إلى دفن الكافر رغم عداوته إذا لم يوجد من أهل ملته من يقوم بدفنه. ومن الأحاديث المرشدة إلى هذا؛ حديث عَلِيٍّ (رضي الله عنه)، قَالَ: قُلْتُ لِلنَّبِيِّ: (ﷺ) إِنَّ عَمَّكَ الشَّيْخَ الضَّالَّ مَاتَ فَمَنْ يُوَارِيهِ؟ قَالَ: اذْهَبْ فَوَارِ أَبَاكَ. النسائي: ٢٠٠٦. ومما يدخل في التمثيل بالجثث حمل رؤوس القتلى من بلد إلى بلد، وقد نهى رسول الله (ﷺ) عن المثلة ولو بالكلب العقور، وقد بيَّن الخليفة الراشد أبو بكر(رضي الله عنه) أن هذا من فعل أهل الجاهلية، وقد نهينا عن التشبه بهم؛ ولأن فصل رأس الجثة بعد القتل من أجل إرسالها هنا أو هناك تمثيل بالجثة.

أما المعاملة الإنسانية للأسير في ضوء السنة النبوية. فقد حظيت الفئات الضعيفة البائسة، ومنهم الأسرى في السنة النبوية المطهرة بأسمى معاني الإنسانية في المعاملة، على نحو يندر أن يتكرر في المواثيق الدولية، حتى وإن بلغت الرتبة في الكمال في التشريع . وقد قام الدليل من السنة النبوية على أنّ رسول (ﷺ) أمر أصحابه يوم بدر أن يكرموا الأسارى، فكانوا يقدمونهم على أنفسهم عند الغداء، بل قام الدليل على مشروعية إجابة الأسير إذا دعا، وإن كرر ذلك مرات والقيام بما يحتاج إليه من طعام وشراب.

وفي شأن المحافظة على وحدة الأسرة من الأسرى: فقد نهي النبي- عن التفريق بين أفراد الأسرة في الأسَّر، قائلًا: «مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ وَالِدَةٍ وَوَلَدِهَا فَرَّقَ اللهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَحِبَّتِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» [الترمذي: ١٥٦٦].

أما ضرب الأسير فلا يجوز إلا لمعنى يوجب ذلك، ويستخبر ما عنده من سر العدو.وغيره من الأحكام التي حملت غوستاف لوبون في كتابه «حضارة العرب «على القول بأن: «العالم لم يعرف فاتحًا أرحم من المسلمين»، «وإذا ما

قيست قيمة الرجال بجليل أعمالهم كان محمدﷺ من أعظم من عرفهم التاريخ».

وفي شأن حماية الأعيان في ضوء السنة النبوية إعمالاً لمبدأ الإنسانية: خاصة في ظل ما يعرف بأسلحة الدمار الشامل، التي تحرق الأخضر واليابس، من إنسان وحيوان ونبات، وهي الأسلحة النووية، والكيماوية والبيولوجية، فقد قام الدليل من سنة النبي (ﷺ) على منع التحريق على كل حال، فلا يجوز التحريق بالنار لأحد من عباد الله، سواء كان مشركًا أو غير مشرك، وإن بلغ في العصيان والتمرد على الله أي مبلغ.

كما قام الدليل على نهَي النبي (ﷺ) «أَنْ يُلْقَى السُّمُّ في آبَارِ الْمُشْرِكِينَ» أو في سلاحهم أو طعامهم، ويلحق به استخدام الغازات السامة التي أصابت العالم بالفجيعة في كل بقعة تراق فيها دماء الأبرياء، سواء كانت هذه الأسلحة السامة مستخدمة مع المسلم أو غير المسلم، فهما في الحرمة سواء.

أما نتائج هذا البحث: فمن أهمها: أنّ هذه الدراسة قد كشفت عن مدى التجديد والابتكار في معالجة قضايا الواقع الإنساني من خلال ما تضمنته السنة النبوية، من وجوه المعالجة لكافة الإشكاليات، بأسلوب علميّ هادئ وهادف، على النحو الذي تتبناه جامعة الوصل بدبي، من خلال هذه الندوة الدولية المعنية بالسنة النبوية، جزى الله تعالى القائمين عليها خير الجزاء.

وختامًا: فإن الباحث يوصي بجعل مُخرجات هذه الندوة في إطار دوليّ بلغات متعددة؛ لتكون خير سفير عن السنة النبوية وأثرها في صياغة واقع العالم الإنساني تحت مظلة التراحم والتسامح، ليسود من جديد قانون: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَلَا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى أَعْجَمِيٍّ وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ وَلَا لِأَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ وَلَا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ إِلَّا بِالتَّقْوَى..»، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

اليوم الثاني: الجلسة العلمية الأولى

القيم الإنسانية في التعامل مع المعسر وأثرها في بناء مجتمع متكافل

د. محمد ضاحي عبد الرؤوف حافظ

مصر

يهدف البحث إلى الإسهام في تسليط الضوء على استراتيجيّات السنة النبوية لتعزيز القيم الإنسانية في التعامل مع المعسر، فهذه القضية لها تأصيل إسلامي في السنة النبوية، وليست وليدة العصر الحاضر؛ فلقد اهتمت السنة النبوية بالاستراتيجيات التي تحقق الاستدامة التكافلية بين أبناء المجتمعات.

وقد تتابعت الأحاديث النبوية التي تحث على تنمية الجانب الإنساني، وغرس بذور الألفة والمودة والتكافل بين أبناء المجتمعات. ولذلك، فإنّ تعزيز القيم الإيمانية عند الناس مهم في الوقت الحاضر لضبط السلوك البشري في التعامل مع المعسرين؛ لأن الإيمان بالله تعالى هو أهم مقوّم لضبط هذا السلوك، وأن الدرس الكبير الذي ينبغي استخلاصه هو أننا أينما عملنا؛ يجب أن نتفحص الثقافة المحلية والنظام الإيماني، وأن نتعلم منهما ونعمل من خلالهما.

فلقد جاء رسولنا الكريم صلوات الله وسلامه عليه بكل ما يُحسِّن العلاقة بين الناس، ويُعمّق معاني التكافل النفسي والاجتماعي والاقتصادي. ولذلك تعددت وتنوعت وصاياه وتوجيهاته الكريمة التي تُربّي في الناس كل القيم الإنسانية الرفيعة، وتدفعهم إلى التحلّي بمكارم الأخلاق، وتُنَمِّي فيهم الرحمة بالفقراء، والرفق بالضعفاء، والتيسير على المعسر؛ لذا فقد اخترت أن يكون موضوع بحثي بعنوان: «القيم الإنسانية في التعامل مع المعسر وأثرها في بناء مجتمع متكافل».

إنّ وجود القيم الإسلامية في المجتمع يُسهم في ارتباط المجتمع بالقرآنِ والسنّة، كما يُحفّز المسلم على مراعاة الآخرة في حياته، وللقيم دور في تقليل حدّة الخصومة والتوتر؛ لذا لا بدّ من تنمية القيم الإسلامية في المجتمع. فلقد حاول البحث إبراز قيمة الموضوع، وبيان أهميته، والتحذير من مغبة إهماله، لأن العسر غالبًا لا ينفك عن الدَّين، ولمّا تعارف الناس على التعامل بالديون، استفحلت ظاهرة العسر المالي في مختلف الشرائح الاجتماعية، وصارت من الخطورة بمكان؛ فتطرق البحث إلى دعوى العسر، ووسائل إثباته، ولم تغفل

الشريعة الإسلامية عن هذا التعامل البشري فدعت إلى الرحمة بالمدين المعسر، وصون كرامته.

وتنوعت التوجيهات النبوية في مجال التعامل مع المعسرين بين عدد من الاستراتيجيات:

- **الاستراتيجية الأولى**: التحذير من الإفراط في الاستدانة من الآخرين: إن أنعمنا النظر في النصوص النبوية الأخرى نجد أنَّها تحذر من المديونيات التي تؤدي إلى العسر. فكَانَ النَّبِيُّ - ﷺ - يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ، وَالْعَجْزِ وَالْكَسَلِ، وَالْجُبْنِ وَالْبُخْلِ، وَضَلَعِ الدَّيْنِ وَغَلَبَةِ الرِّجَالِ».

فالاستعاذة من الدَّيْن سنة نبوية؛ لأن المديونيات لها تأثير كبير على الأخلاقيات، نتيجة للضغوط التي يعاني المعسر ويلاتها؛ فيفقد صوابه في الكثير من التصرفات.

- **الاستراتيجية الثانية**: التيسير على المعسرين: ورد كثيرٌ من الأحاديث النبوية في ترغيب الناس في التيسير على المعسرين؛ لينالوا الجزاء الأخروي الذي أعده الله لهؤلاء الميسرين؛ فالنبي ﷺ يَعِدُ الميسرين على المعسرين باستجابة الدعاء في الدنيا، والفوز في الآخرة.

- **الاستراتيجية الثالثة**: الفصل بين المعسرين في نزاعاتهم: وفي ذلك نماذج حية وواقعية من واقع حياة النبي ﷺ في التعامل مع المعسرين من صحابته، والفصل في قضاياهم بأساليب تُرَغِّبُ في حل مشكلاتهم وعثراتهم.

ولقد كانت بعض النظم القانونية القديمة تُبيح للدائن حق استرقاق المدِين، وتَمَلُّكه وإجباره على العمل لديه حتى يستوفي منه حقه. بل إن للدائن قتل مدينه وتمزيق جسده. وفي حالة تعدد الدائنين كان لهم تقاسم الثمن وتمزيق جسد المدين بمقدار الدين.

أما في ديننا الحنيف، فقد غرست السنة النبوية في نفوس أتباعه التيسير على المدين المعسر الذي لديه قسط معتبر من المال لا يفي بتسديد ديونه، وهذا ليس إهدارًا لكرامته، وهضمًا لإنسانيته؛ بل كل ذلك حفاظًا على حقوق الدائنين، وتبرئته من دينه في أقرب فرصة ممكنة، وإذا كان المدين معسرا مُعْدَمًا لا يملك شيئًا، لم تجز الحجر عليه، ولم تر في حبسه فائدة، بل أمرت بالتصدق عليه، وإمهاله حتى يتيسر أمره، إضافة إلى أنها ضمنت للمدين المعسر الحد الأدنى من المعيشة، ومن النفقة، والمسكن، والملبس، له ولمن هم تحت ولايته ورعايته؛ من زوجة، وأولاد. ولم تمنعه من ممارسة حقوقه الشخصية والمدنية كالزواج، والطلاق.

وهذا بيان على قوة شريعتنا الغراء وعظمتها، بما تملكه من ترسانة قوية من الأنظمة، والقوانين، والأحكام الكفيلة بحفظ حقوق الناس، وما يكفل حقوق الدائنين، وصيانة كرامة المدينين لا سيما المعسرين؛ فقد كانت الشريعة الإسلامية من أهم المصادر التي اعتمد عليها واضعوا القوانين الحديثة؛ لأنهم اعترفوا بأن الشريعة الإسلامية زاخرة بأحكام المدين المعسر قبل أن تعرف أوربا والعالم كله قوانين الإعسار.

وعليه: فإن «إنسانية الإنسان» في أعظم صورها المثالية، نمت في ظِلال الشريعة الإسلامية، واستقت قِيَمَها من مَعين السنة النبوية التي جاء بها خير البشرية رحمةً للعالمين، وخلاصًا من غلظة الجاهلية وقسوتها.

أما نتائج هذا البحث: فمن أهمها: أن هذه الدراسة قد كشفت عن مدى التجديد والابتكار في معالجة قضايا الواقع الإنساني من خلال ما تضمنته السنة النبوية من وجوه المعالجة لكافة الإشكاليات، بأسلوب علمي هادئ وهادف، على النحو الذي تتبناه جامعة الوصل بدبي، من خلال هذه الندوة الدولية المعنية بالسنة النبوية، جزى الله تعالى القائمين عليها خير الجزاء.

وفي الختام، أتوّجه بخالص الشكر والتقدير لدولة الإمارات العربية الشقيقة والقائمين على جامعة الوصل ومركز بحوث السنة النبوية، فهذا الأمر ليس بجديد ولا غريب؛ لأن لها اهتمامًا فاعلًا وكبيرًا على المستوى المحلي والدولي والعالمي، وذلك من خلال هذه الفعاليات العلمية التي تعقد على أرضها لإيجاد الحلول لمثل هذه القضايا التي تُسْهِمُ في بناء المجتمعات على الحب والود والتكافل، بغض النظر عمن يأتي بالحلول أو المعالجات، لا سيّما في مثل هذه القضايا التي شاعت وانتشرت في ربوع الدنيا، ولم تقتصر على الأفراد فحسب، بل انتشرت وشملت الدول أيضا.

اليوم الثاني: الجلسة العلمية الأولى

إنسانيَّة اليتيم في السنّة النّبوية . . دلالات إعجازيّة

د. محمود ضاحي عبد الرؤوف حافظ

وزارة الأوقاف المصرية

لقد أوْلَتِ الشَّريعة الاسلامية اليتيم عنايةً فائقةً، وحثَّت على احترامه والمحافظة على أمواله، وحذرت من الاعتداء على حقوقه. هذا من جهة، ومن جهة أخرى، فقد أهابت بالمحسنين أن يقوموا بتهذيبه وتأديبه كما يراعي الوالد أبناءه، ولكن الملاحَظ من المشرِّع أنه أكد بشكل ملحوظ على حماية حقوقه المالية، ولربما كان هذا بشكل يفوق بقية الجهات المطلوبة في الاهتمام باليتيم، وقد ظهر ذلك من الآيات الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة التي تشكل بدورها مجموعة كبيرة تُلفت نظر الباحثين. ولا غرابة في هذا التأكيد المتواصل من الشريعة على هذه الجهة.

ولقد تناولت الموسوعةُ التشريعية تقييم اليتيم من الجهتين: الاجتماعية والمالية، فشرعت له في هذين المجالين ما يحقق إنسانيته بوصفه فردًا، فأصبح بحاجة إلى من يبادله العطف والحنان والتربية الصالحة، ليكون فردا صالحا لا تؤثر على نفسيته حياةُ اليتم، ولا تترك الوحدة في سلوكه انحرافا يسقطه عن المستوى الذي يتحلى به بقية الأفراد ممن يتنعم بحنان الأبوة وعطفها. ومن جهة أخرى أحكمت له حقوقه المالية؛ حيث يكون -والحالة هذه- عُرضةً للاستيلاء من جانب الأقوياء.

ويتنَّوعُ الأسلوب التشريعي في بيان حقوق اليتيم الاجتماعية؛ وبدأ الشريع له من بداية الطفولة المبكرة، لما لهذه المرحلة من الأهمية البالغة في احتضان اليتيم وإيوائه ليعيش في جو من الحنان الدافىء لينسيه مرارة اليتم، وليعوض عليه ما فاته من عواطف الأبوة، ولذلك نرى الكتاب الكريم يسلك طريقًا جديدًا للوصول إلى بيان حقوق اليتيم الاجتماعية؛ فذلك هو توجيه الخطاب إلى النبي الأكرم ﷺ متخذًا من الواقع المرير الذي مر به وهو طفل خيرَ درسٍ يوجهه إلى الأفراد لرعاية هذه الزهور الذابلة.

ومن بين تلك الأساليب التي تجذب الانتباه هو ما يسلكه القرآن في سبيل تشويق الأفراد إلى الإنفاق، بجعل عملية العطاء عملية مقايضة بين الإنفاق والجزاء

منه على هذا العمل الإنساني. وبذلك يكون المنفق قد سد خلة اجتماعية بمساعدته لهؤلاء المحتاجين، والله لا يحرمه لهذه المساعدة بل يعوضه في الدارين: في هذه الدنيا بزيادة الربح والبركة في ماله، وفي الآخرة بالثواب الجزيل.

واهتمّت كذلك السُنّة النبويّة باليتيم في الكثير من الأحاديث؛ من خلال التحذير من أكل أمواله، وبيان عُلوّ منزلة مَن يقوم عليه وعلى رعايته ورعاية شؤونه؛ وهي مُرافقة النبيّ -ﷺ- في الجنّة التي هي أفضل منازل الآخرة، وقد ورد عن أبي هريرة -رضي الله عنه- أنّ امرأة تُسرع خلف النبيّ -ﷺ-؛ لتدخل معه الجنّة يوم القيامة، فيسألها من أنتِ، فتقول له: (أنا امرأةٌ قعدتُ على أيتام لي)، وقد جاء التحذير من أكل أموالهم، وعَدَّه النبيّ - ﷺ- من السبع المُوبِقات؛ وهي الكبائر من الذنوب المُهلكة؛ فقال: (اجْتَنِبُوا السَّبْعَ المُوبِقَاتِ، قالوا: يا رَسُولَ اللَّهِ، وَما هُنَّ؟) -وذكر منهنَّ- (أَكْلُ مَالِ اليَتِيمِ). ومِمّا يُؤكّد تغليظ ذلك دعاءُ النبيّ -ﷺ- بالإثم والحَرج على مَن يُضيّع ويأكل حقوق اليتيم؛ فقال: (إِنِّي أُحَرِّجُ عليكم حقّ الضعيفينِ: اليتيمُ، والمرأةُ).

وقد تتابعت الأحاديثُ النبوية التي تحث على تنمية الجانب الإنساني، وغرس بذور الألفة والمودة والتكافل بين أبناء المجتمعات؛ فإن تعزيز القيم الإيمانية عند الناس مهم في الوقت الحاضر لضبط السلوك البشري في التعامل مع اليتيم؛ لأن الإيمان بالله تعالى هو أهم مقوّم لضبط هذا السلوك، وأن الدرس الكبير الذي ينبغي استخلاصه هو أننا أينما عملنا؛ يجب أن نتفحص الثقافة المحلية والنظام الإيماني، وأن نتعلم منهما ونعمل من خلالهما.

فلقد جاء رسولنا الكريم صلوات الله وسلامه عليه بكل ما يُحسِّن العلاقة بين الناس، ويعمق معاني التكافل النفسي والاجتماعي والاقتصادي، ولذلك تعددت وتنوعت وصاياه وتوجيهاته الكريمة التي تربي في الناس القيم الإنسانية الرفيعة،

وتدفعهم إلى التحلّي بمكارم الأخلاق، وتربي فيهم الرحمة بالفقراء، والرفق بالضعفاء.

وتنوعت التوجيهات النبوية في الأحاديث بين عدد من الاستراتيجيات:

١- الاستراتيجية الأولى: يظهر مبدأ إنسانية الإنسان في السنة النبوية في مجال الكفالة لليتيم: وقد برز ذلك جليًّا وواضحًا في الكثير من الأحاديث النبوية فعن سَهْلَ بْنَ سَعْدٍ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «أَنَا وَكَافِلُ اليَتِيمِ فِي الجَنَّةِ هَكَذَا» وَقَالَ بِإِصْبَعَيْهِ السَّبَّابَةِ وَالوُسْطَى.

وفي هذا الحديث دلالة إعجازية؛ إذ يوضح قرب المسافة بين الكافل وبين النبي - ﷺ - إذ إن في الكفالة جبرًا لخاطر المكفول وتعويضًا لحرمانه.

٢- الاستراتيجية الثانية: يظهر مبدأ إنسانية الإنسان في السنة النبوية في مجال حفظ حقوقه المالية: وتتجلى عظم السنة ومكانتها؛ إذ وَضَّحَتْ بجلاءٍ لا لبس فيه حقوق اليتيم، وبينت وسائل حمايتها، فجعلت حقوق اليتيم على قسمين، حقوق شخصية وأخرى مدنية. أما الشخصية فقد اشتملت على: (حق الحياة والنسب والرضاعة والولاية عليه والوصاية عليه). أما الحقوق المدنية، فاشتملت على: (حق الكفالة والحق المالي وحق الإعاشة من بيت مال المسلمين والحق في التعليم)

٣- الاستراتيجية الثالثة: يظهر مبدأ إنسانية الإنسان في السنة النبوية في مجال الحماية الاجتماعية الذي توليه السنة النبوية اهتمامًا كبيرًا لحماية هذه الفئة من التداعيات التي تواجهها في الحياة.

لكن ما يجعل مُعالَجة هذا الموضوع مُلِحَّة في هذه اللحظة بالذات، هذا التفاوُت العجيب بين ما شرَعَه الإسلام في ضَمان حقوق اليَتِيم، وبين حالة الأيتام

في هذا العصر الذي يضجُّ بالمشاكل والمشاغل، أنسَت الناس أنَّ هُناك فئةً اجتماعيَّةً تَئِنُّ تحت وطأة الفقر والإهمال، هي فئة الأيتام والأرامِل، وما يقرب من مليار طفل في العالم تنقُصه واحدةٌ أو أكثر من الخدمات الأساسيَّة للبَقاء والنموِّ، وفي كلِّ يوم يَتزايَد أعداد الأطفال الأيتام بنحو ٥٧٦٠ طفلًا؛ أي: أزيد من مليونَيْن كلَّ عامٍ، وتُشير منظَّمة الأمم المتَّحدة للطفولة «اليونيسيف» إلى أنَّ هناك أكثر من ٢١٠ مليون طفل يتيم في جميع أنحاء العالم، وبحسب منظَّمة الأغذية والزِّراعة وفي سنة ٢٠٠٧ يُوجَد في إفريقيا، جنوب الصحراء الكبرى، أكثر من ٤٠ مليون طفل يتيم، من بينهم نحو ١١،٤ مليون يتيم.

ونظَرًا لقلَّة العناية بهذه الشَّريحة، فإنَّ ١٠ ٪ من الأيتام الذين يُغادرون المَلاجِئ يُقدِمون على الانتحار، ويتحوَّل أَزْيَدُ من ٦٠ ٪ من الفتيات إلى مُمارَسة البغاء، وينضمُّ ٧٠ ٪ من الأطفال الذُّكور إلى عالَم الجريمة، بالإضافة إلى استغلال العديد منهم في مِهَنٍ غير آدميَّة، لا لشيءٍ إلا لأنهم أصبحوا أيتامًا، لا كافِل لهم ولا مُؤْوٍ.

وعليه، فإن وجود القيم الإسلامية في التعامل مع اليتيم بالمجتمع يُسهم في ارتباط المجتمع بالقرآنِ والسنّة، كما يُحفّز المسلم على مراعاة الآخرة في حياته، وللقيّم دور في تقليل حدّة الخصومة والتوتر؛ لذا لا بدّ من تنمية القيم الإسلامية في المجتمع؛ فلقد حاول البحث إبراز قيمة الموضوع، و بيان أهميته، و التحذير من مغبة إهماله.

وعليه: فإن «إنسانية الإنسان» في أعظم صورها المثالية، نَشَأَتْ وَنَمَتْ قيمها في ظلال الشريعة الإسلامية، واستقت قيمها من معين السنة النبوية التي جاء بها خير البشرية رحمة للعالمين، وخلاصًا من غلظة الجاهلية وقسوتها.

وفي الختام أتوجه بخالص الشكر والتقدير لدولة الإمارات العربية الشقيقة

والقائمين على جامعة الوصل ومركز بحوث السنة النبوية، فهذا الأمر ليس بجديد ولا غريب؛ لأن لها اهتمامًا فعّالًا وكبيرًا على المستوى المحلي والدولي والعالمي، وذلك من خلال هذه الفعاليات العلمية التي تعقد على أرضها؛ لإيجاد الحلول لمثل هذه القضايا التي تُسْهِمُ في بناء المجتمعات على الحب والود والتكافل.

إنسانية محمد (ﷺ) ومهاراته في التواصل مع الأطفال (نماذج مختارة)

أ. د. بو لمعالي النذير
جامعة المدية – الجزائر

لقد بُعث محمد (ﷺ) للناس كافةً ومؤثرًا في الأجيال عامةً بما حوته سيرته العطرة (ﷺ)؛ وفي خضم الدعوة والتأسيس للدولة المسلمة في حياته (ﷺ) لم يُهْمِل أيَّ فرد في المجتمع المسلم الناشئ؛ فتعامل (ﷺ) مع فئاتٍ مجتمعيةٍ كثيرةٍ؛ مع الرجل والمرأة، ومع الكبير والصغير، ومع الكافر والمؤمن، ومع العربي والأعجمي، ومع العالم والمتعلم...؛ وقد تجلت تلك المعاملة وإنسانيته (ﷺ) في أرقى صورها من خلال تعامله مع الفئات الضعيفة خاصة؛ ومنها كبار السن والنساء والأطفال؛ فكان بحق الرسول الإنسان (ﷺ).

وبالحديث عن الأطفال، وكيف تعامل معهم رسولنا الكريم (ﷺ)؛ فقد ورد في سيرته وفي الكثير من الآثار المروية عنه (ﷺ) ما يجب أن نقف عنده بوصفنا مُربين وأولياء أمور لنقتفي أثره سائرين على أثره في جانب حياتي تربوي مهم؛ ألا وهو التعامل بإنسانية راقية مع هذه الفئة الضعيفة من فئات المجتمع؛ وكانت النماذج كثيرة، وفي مناسبات شتى.

لقد كان (ﷺ) يتخير طرق المعاملة المناسبة مع أطفال المسلمين؛ هذه الفئة الضعيفة مؤقتًا في المجتمع، والتي ستكون رائدةً وقائدةً في قابل السنوات؛ (فأطفال اليوم هم رجال الغد وحماة الدين والوطن)؛ فحسن التعامل مع صغار السن حينها كان له مَقْصِدٌ كبيرٌ، وهو بناء رجال الغد؛ فهي بضع سنين وستجده هو المسؤول وهو المربي وهو حامل مشعل البناء والتطور والتغيير (اجتماعيًّا وسياسيًّا واقتصاديًّا وتربويًّا)؛ لقد غرس في أطفال المسلمين قيما إنسانية ما أحوجنا إليها الآن؛ فنحن أمام زاد نبوي ضخم يبرز للأمة الجوانب الإنسانية في حياته (ﷺ) مع مكونات المجتمع عامة ومع فئة الأطفال خاصة.

بل وتجلى تعامله الإنساني حتى مع غير المسلمين من مواطني الدولة المسلمة من ذميين ما لم يخونوا العهود.

إنسانية محمد (ﷺ) كانت تبني وتصقل شخصيات الريادة في المستقبل، وقد أدرك (ﷺ) أن التفريط فيه الآن معناه التفريط في مستقبل الأمة؛ وهذا ما وقفنا عليه من خلال الرصد المبدئي لكثير من النماذج التي تعامل معها سيد الخلق محمد (ﷺ) نفسه فأعطانا بذلك النموذج الأسمى للتعامل مع الفئة الأكثر هشاشة في مرحلة عمرية معينة (الصغر)، والتي ستصبح أشدنا عودًا في مرحلة الشباب وفي مرحلة الكبر من مرحلة الأخذ إلى مرحلة العطاء.

واقتداءً به (ﷺ) نقول: للأب وللمربي: ازرع في طفلك القيم الإنسانية؛ وكنْ قبل ذلك القدوة لأبنائك فيها؛ مراعين أدبيات التواصل ومهاراته الإنسانية مقتدين فيها برسول الله (ﷺ)؛ آخذين في الحسبان خصوصية مرحلة الطفولة وما فيها نقاط ضعف وقوة؛ مستأنسين بمنهج الله تعالى المتميز بعالميته المستمدة من عالمية الإسلام وإنسانية والرسالة النبوية التي جاء بها محمد (ﷺ)؛ ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧] لقد كانت للنبي (ﷺ) مهارات إنسانية عالية في تعامله مع فئة الأطفال، من خلال ما وقفنا عليه من نماذج إنسانية عالية؛ لأنها من أكثر الفئات حاجة للرعاية والعطف والحنو؛ فأعطانا (ﷺ) من خلال هذه النماذج بُعْدًا إنسانيًا لا مثيل له؛ قد تكون خطوطًا عريضة ونماذج إنسانية راقية للتعامل، والقياس عليها والسير على نهجها، والاقتباس من نورها النبوي.

وقد تجلت إنسانيته (ﷺ) من خلال تواضعه للأطفال؛ حبًا لهم، ورحمةً بهم، وشفقةً عليهم، وتنبيهًا، وتوجيهًا، ومواساةً؛ ومساعدة لهم؛ ...)؛ وهذا تحفيزًا لكل مربي للتأسي برسولنا الإنسان (ﷺ)؛ فقد كان الهدف العام من كل هذا هو مرافقة الصغار بهدف التوجيه وغرس القيم الإنسانية؛ والنماذج كثيرة، وفي ميادين شتى، رصدنا منها على سبيل التمثيل لا الحصر:

- إنسانيته (ﷺ) في دعائه للأطفال.
- إنسانيته (ﷺ) في إفشاء السلام عليهم والسؤال عن أحوالهم.
- اللمسة الحانية من النبي الإنسان، المحب العطوف (ﷺ).
- إنسانيته (ﷺ) في مداعبته وملاعبته وملاطفته للصغار.
- إنسانيته (ﷺ) في كلمته الطيبة والشكر للأطفال.
- إنسانيته (ﷺ) في تنميته لخيال الأطفال وحثهم على التفكير.
- إنسانيته (ﷺ) في مؤاكلته للأطفال والتواضع لهم.

نقول أخيرًا: إن دعوته (ﷺ) إلى زرع قيم الخير عامة والإنسانية خاصة، وكذا تأديب الأطفال، ومنشؤها شدةُ اهتمامه (ﷺ) بهم (فئة الأطفال)؛ فقد كان يغرس القيم الإنسانية والخلق الكريم فيهم، كما كان يحث على رحمتهم والإشفاق عليهم، في قوله (ﷺ): (مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا وَيَعْرِفْ حَقَّ كَبِيرِنَا فَلَيْسَ مِنَّا).

والحمد لله رب العالمين.

أثر التسول في إهدار كرامة الإنسان ودور السنة النبوية في مواجهته

د. عماد حمدي إبراهيم يحيى

جامعة الوصل – دبي

الحمد لله رب العالمين، وصلاةً وسلامًا على المبعوث رحمةً للعالمين، وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد، ، ،

فقد اهتمت السنة النبوية المطهرة بإنسانية الإنسان، واعتنت بكرامته، بل وفضَّله الحق سبحانه على سائر المخلوقات تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٠] ولا عجب في ذلك؛ فالإنسان هو أعظم المخلوقات وأكرمها عند الله ﷻ، خلقه بيده، وجَعَلَهُ خليفته في أرضه وعلمه الأسماء كلها، وأمر ملائكته بالسجود له تعظيمًا وتشريفًا وتكريمًا.

أما فيما بين الإنسان وأخيه الإنسان؛ فالكل في نظر السنة النبوية المطهرة مُكَرَّمٌ ومَصُون، فقد سَّوت السنة بين جميع ولد آدم، فلا فضل لعربي على أعجمي، ولا لأبيض على أسود.. ففي الصحيح من حديث جَابِرِ بْنِ عَبْدِ الله قَالَ: خَطَبَنَا رَسُولُ الله ﷺ فِي وَسَطِ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ خُطْبَةَ الْوَدَاعِ، فَقَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ، أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ، وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ، وَلَا لِأَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ، وَلَا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ، إِلَّا بِالتَّقْوَى، إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ..». فالأصل في علاقة الإنسان بأخيه الإنسان هو العزة والكرامة والمساواة، فإذا كان التفضيل والتمييز أمرًا لابد منه، فإنّ أساس التفاضل والتكريم بين الناس هو: التقوى والعمل الصالح.

ومن ناحية أخرى، فإن المتأمل في حقيقة تلك الكرامة الإنسانية يَلْحَظُ أنها ليست كرامة مفردة، ولكنها كرامة ثلاثية؛ أو بعبارة أخرى هي كرامة لها ثلاث مراتب: كـــرامة: عصمة وحماية، وكـــرامة: عزة وسيادة، وكـــرامة: استحقاق وجدارة.

كـــــرامة: يستغلها الإنسان من طبيعته ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ [الإسراء: ٧٠] وأخرى يستمدها من إيمانه وعقيدته ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ

وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [المنافقون: ٨]، وثالثة يستوجبها بعمله وسَعْيه وجِّده واجتهاده: ﴿ وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟ ﴾[الأنعام: ١٣٢].

هذه الكرامة الإنسانية بمراتبها الثلاث؛ إنما هي بمثابة الظل الظليل الذي تنشره السنة النبوية المكرمة، على كل فرد من أفراد البشر ذكرًا أو أنثى، أبيضًا أو أسْوَدَ، قويًا أو ضعيفًا، غنيًا أو فقيرًا من أي ملة كان.. فتصون به دَمَهُ من أن يُسفك، وعِرْضَهُ من أن يُنتهك، وماءَ وجهه من أن يُراق، ومالَهُ من أن يُغتصب، ومسْكَنَهُ من أن يُقتحم، ونَسَبَهُ من أن يُبدل، ووطنَهُ من أن يُخرج منه، أو يُزاحم عليه، وضميرَهُ من أن يُتحكم فيه قسرًا، وحريتَهُ من أن تُعطل خداعًا ومكرًا، وفي الصحيح: «إِنَّ دِمَاءَكُمْ، وَأَمْوَالَكُمْ، وَأَعْرَاضَكُمْ، بَيْنَكُمْ حَرَامٌ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا».

فلكل فرد في نظر السنة النبوية الشريفة قدسية الإنسان، فهو في حمى محمي، وفي حرم محرَّم، ولا يزال كذلك حتى ينتهك هو حرمةَ نفسه، ويريق هو ماءَ وجهه، ويضرب بيده هذا الستر المضروب عليه بارتكاب جريمةٍ منكرةٍ، أو سلوكٍ منحرف يرفع عنه جانبًا من تلك الحصانة.

ولعلنا لا نبالغ إن قلنا إن ظاهرة التسول من أخطر الآفات، وأشنع العادات، وأقبح السلوكيات التي تهدد إنسانية الإنسان، وتهدر كرامته، وتُريق ماء وجهه، وتحيد به عن مهمة الاستخلاف في الأرض، بل إنها تُعد الأخطر من بين الظواهر الاجتماعية التي عرفتها المجتمعات الإنسانية قديمًا وحديثًا، فهي لا تخص رقعة جغرافية دون أخرى أو ثقافة بعينها، وإنما يتسع نطاقها إلى أماكن متعددة ومتنوعة؛ إذ تعاني منها الدول النامية والمتقدمة على حد سواء.

وعلى الرغم من الجهود الكبيرة التي تبذلها الدول والحكومات، والجهات المعنية في مواجهة تلك الظاهرة، إلا أنها لا زالت تتفاقم وتنتشر بشكل كبير حتى

أصبحت تمثل مشكلة اجتماعية تؤرق العديد من المجتمعات. ذلك أن التسول في أغلب صوره وأشكاله سلوكٌ منحرفٌ، يُشَوِّهُ إنسانية الإنسان، ويهدر كرامته، ويَحُطُّ من إنسانية المتسول، ويَسْلُبُهُ صفة الخيرية بين أفراد المجتمع، فضلًا عن تعطيله لطاقات الأمة وإهدارها، من خلال شيوع الخمول والكسل، والركون إلى السكون والراحة وترك الإنتاج والعمل، وإضاعة المال ووضعه في غير مكانه الصحيح، ناهيك عن ضياع هيبة الأمة وسقوطها في عين أعدائها وسهولة اختراق صفوفها، ما يجعلها عاجزة عن تقرير مصيرها، واتخاذ القرارات التي تخدم مصالحها، فيكون تحديد مصيرها بيد غيرها.

وإن المتأمل في نصوص السنة النبوية المطهرة يجد فيها منهجًا رائعًا في مواجهة التسول، ولعل ما يميز هذا المنهج النبوي في مواجهة التسول أنه:

أولًا: يجمع في آن واحد بين الشمول والتنوع والتكامل بين السبل والآليات المتبعة في عملية المواجهة؛ ما بين العقدي والثقافي، والفكري، والتربوي، والاجتماعي، والاقتصادي، والقانوني، والتشريعي.

ثانيًا: ينطلق في مواجهة هذه الظاهرة والحد من انتشارها من علاج الأسباب التي أدت إلى ظهورها؛ فالسنة النبوية المطهرة تُعالج المرض ولا تُسَكِّن العرض. وذلك بداية من المشكلات الأسرية والاجتماعية، وما نتج عنها من مشكلات تربوية ونفسية من عوز وحرمان، واضطرابات في نمو الشخصية، فضلًا عن سوء التربية والتوجيه في المدارس والجامعات، مرورًا بالأسباب الاقتصادية من البطالة وعدم القدرة على الكسب، والإسراف في الإنفاق والبعد عن التوسط والاعتدال، والاحتكار والاستغلال في الأقوات والأرزاق وصولًا إلى العوامل والأسباب القانونية والتشريعية، من غياب الرقابة والمتابعة، وضعف العقوبة وغياب الردع.

ولعل من أبرز هذه السبل والآليات التي اتبعتها السنة النبوية المطهرة في مواجهة ظاهرة التسول:

السبل والوسائل العقائدية: نحو تحريم التسول والتهديد والوعيد لفاعله، والنهي عن سؤال المخلوق والإعراض عنه، والحث على سؤال الخالق والإقبال عليه، والحث على التعوذ من الفقر.

السبل والوسائل الثقافية والفكرية: نحو تصحيح مفهوم الغِنَى وبيان حقيقة الغَنيّ، وتصحيح مفهوم المَسْكَنة وبيان حقيقة المِسْكِين، وتصحيح مفهوم الإفلاس وبيان حقيقة المفلس، والتأكيد على أن المال ليس هدفًا في ذاته.

السبل والوسائل التربوية: نحو الحث على القناعة، وكراهة السؤال، والتعفف والاستغناء عن الخلق.

السبل والوسائل الاجتماعية: نحو تحقيق وترسيخ مبدأ الضمان الاجتماعي، والحث على تبني هموم الناس وقضاء حوائج المحتاجين.

السبل والوسائل الاقتصادية والتنموية: نحو ضرورة محاربة البطالة، والإعلاء من قيمة العمل، والسعي لتوفير فرص عمل جديدة وتهيئتها، وتحريم الاحتكار منعًا للتحكم والاستغلال في الأقوات والأرزاق، والحث على التوسط والاعتدال في الإنفاق وعدم الإسراف، والهجرة في طلب الرزق الحلال.

السبل والوسائل التشريعية والقانونية: نحو سن القوانين التي تكافح التسول، ووضع العقوبات الرادعة لمن يتخذ هذا السلوك حرفة يتكسب ويقتات من خلالها.

نماذج من المنهج النبوي في بناء السَّواء وحماية إنسانية الإنسان

د. كلثم عمر الماجد المهيري

جامعة زايد – دبي

الحمدُ لله رب العالمين، والصّلاةُ والسّلامُ على خاتم الأنبياء والمرسلين، رسولِ الرّحمةِ وقائدِ الغُرِّ الميامين، وعلى آله وصحبه والتابعين ومن تَبِعَهُم بإحسانٍ إلى يوم الدين، وبعد؛

يُناقش موضوع البحث مظاهر العناية النبوية بالإنسان، ويعرِضُ ما أوْلَتْهُ السُّنّةُ النّبويّة لحالِ السّواء الذي يُعبّر في حقيقته عن المعنى الحقيقي لإنسانيّة الإنسان.

فما هو السواء؟ وما صلتُه بإنسانيّة الإنسان؟ للإجابة عن هذه التساؤلات يمكن القول: إن السَّواء لفظٌ يُطلق على الحال الوسط بين الإفراط والتفريط، ويُعبّر عن صفات الاتزان والحكمة والاعتدال التي يتمتّعُ بها الإنسان السَّويّ. وعليه، فإن صِلة السواء بإنسانية الإنسان صلةٌ وثيقةٌ تُعبّر عن الصفة السليمة التي تليقُ بمنزلة الإنسان وكرامته.

وقد تجلّت مظاهر رعاية الإنسان في السنّة النبويّة جلاءً تامًا؛ أيقَنها الصحابة في صدر الإسلام؛ فعرفوا التكريم الذي ينعم به المسلم في ظل الهدي النبوي؛ وما آل إليه حالهم بعد حياة الجهل ومعاناة الشرك. ففيما يُروى عن جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه؛ ما ذكره للنجاشي من مظاهر الانحراف العقَدي والسلوكي الذي ساد في فترة الجاهلية وأهلها، وكيف تغيّر ذلك الانحراف في ظل الهدي النبوي، فآل إلى احترام الإنسانية وتحقيق رِفْعَتِها.

قال جعفرٌ بن أبي طالب رضي الله عنه: «كنّا قومًا أهل جاهليّة نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، وَنَأْتِي الْفَوَاحِشَ، وَنَقْطَعُ الْأَرْحَامَ، وَنُسِيءُ الْجِوَارَ، وَيَأْكُلُ الْقَوِيُّ مِنّا الضّعيفَ فكُنّا على ذلك حتى بعثَ اللهُ إلَينَا رسُولاً مِنَّا نعرِفُ نسبَهُ وَصِدْقَهُ وأمانَتَهُ وَعَفَافَهُ فَدَعَانَا إِلَى الله لنُوَحّدَهُ وَنَعْبُدَهُ، وَنَخْلَعُ مَا كُنَّا نَعْبُدُ نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ دُونه مِنَ الْحِجَارَةِ وَالْأَوْثَانِ، وَأَمَرَنَا بِصِدْقِ الْحَدِيثِ، وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ وَصِلَةِ الرَّحِمِ، وَحُسْنِ

الْجِوَارِ، وَالْكَفِّ عَنِ الْمَحَارِمِ وَالدِّمَاءِ، وَنَهَانَا عَنِ الْفَوَاحِشِ وَقَوْلِ الزُّورِ، وَأَكْلِ مَالِ الْيَتِيمِ، وَقَذْفِ الْمُحْصَنَاتِ، وَأَمَرَنَا أَنْ نَعْبُدَ اللهَ وَحْدَهُ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَأَمَرَنَا بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَالصِّيَامِ».

وهذه الصفات -بلا شك- هي صفات الاتّزان في الاعتقاد والعبادات والسلوك الفرديّ والاجتماعيّ، وكلّها تعبّر عن حال السواء، وحاجة الإنسانيّة إليه. وقد استمرّ الهدي النبويّ في تعاهد المسلمين وإرشادهم إلى سبل الهداية والرشاد، فتجلّت في ضوء ذلك مظاهر الرعاية النبوية في بناء السواء لحماية إنسانيّة الإنسان.

فمن ذلك حرصه ﷺ على توطيد صلة العبد بربّه، وتقوية معتقده؛ لما يبنيه الاعتقاد السليم من الاتّزان في المعتقد والسلوك والمعاملة وغير ذلك. جاء ذلك في قوله ﷺ لابن عباس رضي الله عنه: «يَا غُلَامُ؛ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ؛ احْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ...» الحديث؛ ففي هذا الحديث من المعاني ما تُصانُ به إنسانيّة الإنسان من الزلل، وفيه ما يجمع قلب المسلم ومشاعره وآماله وطموحاته على مرجوٍّ واحد، هو الله جلّ وعلا، فيتخلّص بذلك من شواغل الرَّجاء من غيره؛ فيستقِلُّ فكرُهُ ويستجمع طُمأنينتَهُ واستقامتَهُ، فَتتوثّقُ عُراها عنده؛ فيجد الثّبات، ويستلهمُ قوّة الاتّزان والاعتدال في العقيدة والعبادة والسلوك، وفي كلّ مناحي الحياة، وهذا -بلا شك- يدعم السواء الإنسانيّ؛ فتنضبطُ به معالم إنسانيّة الإنسان.

ومن هَدْيِه ﷺ أيضًا غرسُ الخوف والرّجاء، لأنهُما طرفان تنضَبِطُ بينهما صفة السّواء؛ وقد تضمّن الهديُ النّبويّ الأسس الفاعلة في توجيه الرجاء، ببيان قدرِ الرّحمات المُدّخرة عند ربّ العزّة جلّ وعلا، وكذا في توجيه الخوف ببيان ما عند الله تعالى من العذاب، وبين الخوف والرّجاء يتجلّى أثر السنّة النبويّة في تربية السواء الإنساني، وذلك حين يكون الرّجاءُ والخوفُ حاضرين، فتوجد الخشية،

ويوجد الرجاء فينبري الافتقار إلى الله تعالى، فتتراجع من بينهما ميول الإفراط والتفريط.

ومن هديه أيضًا تحميل المسئولية لفئات عدة من الناس؛ لأنّ تحمُّل المسئوليّة خُلقٌ فاعلٌ في بناء السّواء وإنسانيّة الإنسان، لما تتطلّبُه من ضبط النفس وتهذيبها وتَهيئَتها لاكتساب القدرة على رعاية ما تُتحمَّلُ مسئوليّته، إذ لا يتمكّنُ الإنسانُ من ذلك إلا إذا عرف قدر الأمانة التي بين يديه. وعليه، فلابد أن يجتمع فيه عددٌ من الخِلالِ، منها الأمانة التي استُرعِيها، والقيامُ على تلك الأمانة بما يُصلحُها، والاجتهاد في ذلك إلى أقصى حد، وعدم التفريط فيه، فإذا ما تحلّى بهذه الخلالُ عبّرت عن سلامةِ إنسانيّتِه وصدقِ معانيها في نفسه وسلوكه.

وَتُضافُ إلى جوانب تعزيز السواء السالفِ ذكرِها، جوانبُ أخرى تضمّنت توعيةً نبويّةً لما يؤثّرُ سلبًا في السواء وإنسانيّة الإنسان.

من ذلك توجيهه ﷺ إلى نبذ الإفراط والتفريط في العبادة والسلوك، في ردّه على الرّهط الثلاثة، الذين عزموا على التّبتُّل والصوم المستمرّ والقيام الدائم؛ فقال ﷺ: «أَمَا وَاللهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ للهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ، لكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي». فأفادت إجابتُه ﷺ أن السواء لا يتحقق إلا بالاقتداء واتباع منهج القدوة ﷺ في أقواله وأفعاله وعباداته؛ لما في منهجه من اتزان واعتدالٍ تتحقّقُ به صفة السّواء وإنسانيّة الإنسان.

ومن مظاهر التوعية النبوية أيضًا توجيه مقارنة الإنسان نفسَهُ بغيره، حفاظًا على سلامة إنسانيّته؛ لما ينبغي أن يتحلّى به من التسليم والقناعة بما قدّره الله تعالى له؛ فقد يتأثّرُ هذا الخُلق بما ينتاب الإنسان من مقارنات بين حاله وحال الآخرين ممّن فُضِّلوا عليه؛ فيؤولُ ذلك إلى التأثير السلبي في الإيمان بالقضاء والقدر، وقد يترتّب عليه الجنوح إلى ما لا يرتضيه الإسلامُ من القول والعمل، ولهذا جاء

التوجيه النبوي في تهذيب سلوك المقارنة؛ للتوعية والتّنبيه إلى العواقب. بينما لو قارنَ نفسه بمن هم أدنى منه في الغنى أو الصحّة ونحوها؛ فذلك يُعرِّفُه فضلَ الله تعالى عليه، ويغرسُ الرّضا بقضاء الله تعالى واليقين بحكمته في تدبير خلقه. وهذا الرضا واليقين يحتاج إليهما الإنسانُ لدعم اتزانه النفسي واتزانِ علاقاته بغيره، ليتمتّع بالسواء والإيجابية.

ويعتني الهدي النبويُّ أيضًا بتوعية المسلم بضبط الاتزان عند وقوع المصائب، لما حوتهُ السنّة النبويّة من توجيهات ذات أثر كبير في ضبط النفس والسلوك؛ فقوله ﷺ: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَطَمَ الخُدُوْدَ، وَشَقَّ الجُيُوْبَ، وَدَعَا بِدَعْوَىَ الْجَاهِلِيَّةِ» يوضّح خطورة تلك الأفعال على النفس والبدن؛ لأنها تقود إلى فقد الاتّزان، وإلى الانحراف السلوكيّ، فتُخلي الإنسان من صفة السواء، وتنأى به عن العاطفة الإنسانية المنضبطة التي تحافظ على اتّزانها وسلامتها. وعليه، فالنهي الوارد في الحديث الشريف يُعدُّ مظهرًا من مظاهر وقاية الإنسان من الانحراف والزلل عمومًا، وهو قاعدةٌ عريضة في رعاية إنسانيّة الإنسان.

تُضافُ إلى ذلك التوعية النبوية لآداب مجالس الطُّرقات والأماكن العامة، التي من شأنها أن تكون داعيًا إلى تتبُّع العورات، وإيذاء المارّة من الناس، ففي ذلك ذريعةً للفساد واكتساب الإثم ومجانَبة السّلوك السّويّ. ومُؤدّاهُ امتهان إنسانية الإنسان واحتقاروها. لذا جاء الهديّ النبويّ موجِّهًا إلى «غَضِ الْبَصَرِ وَكَفِ الْأَذَىَ وَرَدّ السَّلامِ وَأَمْرٍ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهْيٍ عَنْ الْمُنْكَرِ»؛ ففي هذه الكلمات المباركة قواعد تبني أسسَ السواء النفسي والسلوكي لحماية الإنسانية ورعايتها؛ إذ أن المجالس تكشف عن مروءة الجالس ومحاسنِ أفعاله.

وتُحذّر السنّة النبويّة أيضًا من عددٍ من الصفات التي تُجانبُ السّواء وإنسانيّة الإنسان؛ منها صفة النفاق التي تخالفُ الطبع السليم للإنسان؛ لما تؤدي إليه من الكذب وخُلْفِ الوعد وخيانة الأمانةِ والفجور في الخصام؛ فذلك ينفي صفة

السواء، ويعيبُ إنسانيّة الإنسان ويكشف ما يعتريها من الزعزعة والقصور. وقد جاء الهدي النبوي لإنقاذ الإنسان من هذه العواقب احترامًا لإنسانيّته، ودعمًا لاستمراريّتها سويّةً قويمةً.

والصفة الثانية، وهي الأسوأ والأقبح؛ وهي صفةُ ذي الوجهين، التي تعبّر عن نفسٍ غير سويّة، وقد تضمّن الهدي النبويّ علاجًا يردُّ هذا السلوك ويُزعزِعُ أركانه، فوصف صاحب هذه الصفة بشرّ الناس، وفيه وعيد وردعٌ، لتقويم السلوك وتهذيب النفس.

وبعد؛ فهذه مجموعة مباركة من الهدي النبوي الشريف، تم تحليل فوائدها للتعرُّف على نماذج من الرعاية النبوية للسواء الإنساني، واحترام إنسانية الإنسان. فجاءت في جانبين، كشف الجانب الأول عن عناية السنة النبوية بتعزيز السواء، وكشف الجانب الثاني عن التوعية النبوية للمحذورات من الأفعال والأقوال التي تقود إلى زعزعة السواء والتأثير السلبي على إنسانية الإنسان.

والحمدُ ربّ العالمين أولًا وآخرًا.

اليوم الثاني: الجلسة العلمية الثانية

مبدأ الإنسانية في السنة النبوية وأثره في حسن تنشئة الوِلْدَان ورعاية الضعفاء والرفق بالحيوان

د. حمدة خلفان بالجافلة المنصوري

دائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري – دبي

الحمد لله رب العالمين، رب السماوات السبع ورب العرش العظيم، والصلاة والسلام على خاتم النبيين، وسيد المرسلين، المبعوث رحمة للعالمين، المجتبى والمصطفى من خلقه إلى يوم الدين، وبعد:

فإن إنسانية الإنسان في السنة النبوية باب واسع يتسع ليشمل كل ما خلقه الله تعالى، من بنى الإنسان والحيوان، ففي تربية الولدان على منظومة متكاملة من القيم الإنسانية بفضائل الصفات ومكارم الأخلاق، ما يعود على المجتمع بالنفع بجعله مجتمعًا إنسانيًّا سعيدًا، وفي رعاية السنة النبوية مبدأ إنسانية الإنسان برعايتها الفئات الضعيفة من بني الإنسان من اليتامي والأرامل والمساكين وكبار السن، والسعي على مصالح ذوي الاحتياجات الخاصة، واهتمامها بالحيوان بالرفق به، دليل شاهد على كمال نبوته ﷺ وجمال رسالته، وعظيم إنسانية .

ولقد جعل النبي ﷺ مبدأ الإنسانية مبدأ عالميًا وواقعيًا، وفي تطبيقه صلاح العالمين، إذ إن ما تقع فيه الأمة من عثرات مصحوبة بالقسوة أو الغلظة سببه الانحراف عن منهج النبوة، والاحتكام إلى سَيِّئ الطبائع وقبيح الأعراف، كل هذا يدعونا إلى تجديد الدعوة بين الحين والآخر، وعبر كل وسيلة للعودة إلى ميراث النبوة لصلاح البشرية وسعادتها ولتحقيق إنسانية الإنسان، وذلك من خلال عدة عناصر:

العنصر الأول: مبدأ إنسانية الإنسان في تنشئة الأولاد: تُعَدُّ تربية الأولاد في ضوء عالم متغير من التحديات التي لا يمكن تجاهلها، فالانفتاح على العالم، واستخدام التكنولوجيا، واتساع شبكات التواصل الاجتماعي، كلها تدعو لتبنِّي منهج رصين في تربية أبنائنا والتعامل معهم، وتطبيق المنهج النبوي من أنجح الطرق لغرس مبدأ الإنسانية في طرق التعامل مع الأبناء، بما يحتوى عليه هذا المبدأ من الأخلاقيات والمبادئ السامية التي ينشأ عليها الفرد والتي تضع له القواعد الرئيسة لتعاملاته مع الآخرين فيما بعد حتى يكون عنصرًا فاعلًا في المجتمع المسلم.

والشواهد التي تدل على مراعاة إنسانية الانسان في تنشئة الأبناء كثيرة، أذكر منها:

أولًا: الرفق بالبنات وتطييب خاطرهن؛ ففي الوقت الذي تضطرب فيه معاملة البنات بوأدهن أو كراهية إنجابهن، أو مفاضلة بينهن وبين البنين، أو منعهن من الميراث، وترك حملهن وتطييب خاطرهن، يقدم لنا النبي ﷺ مواقف إنسانية تتجلى فيها كل معاني الرحمة والإنسانية؛ فعن قتادة -رضي الله عنه- قال: «خَرَجَ عَلَيْنَا النَّبِيُّ ﷺ وَأُمَامَةُ بِنْتُ أَبِي العَاصِ عَلَى عَاتِقِهِ، فَصَلَّى، فَإِذَا رَكَعَ وَضَعَ، وَإِذَا رَفَعَ رَفَعَهَا».

ثانيًا: تربية الأبناء على مكارم الأخلاق حماية لإنسانيتهم، وحفظًا لدينهم؛ ومما يستأنس به ما روي عن عبد الله بن بُسْر المازني الصحابي -رضي الله عنه- قال: «بعثتني أُمي إلى رسول الله ﷺ بقِطْفٍ من عِنَب، فأكلتُ منه قبل أن أُبلغَه إياه، فلما جئتُ به أخَذَ بأُذني وقال: يا غُدَرُ». فالتربية على حفظ الأمانة مصدر أمان تعصم الطفل أن تمتد يده إلى أموال غيره.

ثالثًا: التربية على الإيثار، وما من شك أن تربية النشء على هذه القيمة والمبدأ عامل مؤثر في حسن تكوين شخصية الطفل فيما يعود بالنفع على المجتمع؛ ففي الصحيحين عن سهل بن سعد -رضي الله عنه- قالَ: أُتِيَ النَّبِيُّ ﷺ بِقَدَحٍ، فَشَرِبَ مِنْهُ، وَعَنْ يَمِينِهِ غُلَامٌ أَصْغَرُ القَوْمِ، وَالأَشْيَاخُ عَنْ يَسَارِهِ، فَقَالَ: «يَا غُلَامُ أَتَأْذَنُ لِي أَنْ أُعْطِيَهُ الأَشْيَاخَ»، قَالَ: مَا كُنْتُ لِأُوثِرَ بِفَضْلِي مِنْكَ أَحَدًا يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَأَعْطَاهُ إِيَّاهُ». فهذه إشارة منه ﷺ على تعليم الأبناء قيمة الإثيار وإلا لما استشار النبي ﷺ الصبي.

والعنصر الثاني: مبدأ الإنسانية بشأن التعامل مع الفئات الضعيفة: من أهم مظاهر غرس مبدأ الإنسانية في الهدي النبوي رعاية حقوق الضعفاء، والسعى على مصالحهم.

العنصر الثالث: قيم الإنسانية ومبادئها بشأن الرفق بالحيوان: أعلن نبينا محمد ﷺ مبدأ الرفق بالحيوان أحد أعظم مبادئ الإنسانية، فقد حرص (ﷺ) على صناعة الإنسان الإحساني الكوني الذي لا يقتصر نفعه على نفسه ومحيطه الضيق وحسب، بل يتسع ليشمل الكون برمّته. فالإحسان إلى الحيوان والرفق به قيمة إنسانية عظيمة، وعبادة من العبادات التي قد تصل في بعض الأحيان إلى أعلى درجات الأجر، وأقوى أسباب المغفرة. فقد ورد في الصحيحين عن أبي هريرة -رضي الله عنه-، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «غفر لامرأة مومسة مرت بكلب على رأس ركي يلهث قال كاد يقتله العطش فنزعت خفها فأوثقته بخمارها فنزعت له من الماء فغفر لها بذلك».

ولقد توصلت الدراسة إلى عدد من النتائج من أهمها:

١. أسبقية السنة النبوية قبل ألف وأربعمائة سنة إلى سَنِّ منظومة أخلاقية متكاملة من القيم الإنسانية النبيلة في تربية الأبناء ورعاية الفئات الضعيفة والرفق بالحيوان. فما أحوج الإنسانية جمعاء إلى اقتباس هذه القيم الإنسانية من هذه المدرسة الحضارية والتحلي بها، والعمل على ترسيخها بعدما نخر كيانها العنف والتطرف بشتى أنواعه في الواقع المعيش، وفي العالم الافتراضي الرقمي، اتجاه الإنسان والحيوان.

٢. إن الاهتمام بتربية النشء-ذكورًا وإناثًا-على منهج النبوة ضمانة أساسية لتربية جيل قادر على تحمل المسؤولية، وضرب ﷺ أعظم المثل في خدمة الأوطان وتقديم يد العون والمساعدة في مختلف أرجاء العالم إعلاءً لقيم الإنسانية.

٣. يكشف البحث عن الوجوه المثالية المستقاة من منهج خير البشرية في التعامل مع الفئات الضعيفة من اليتامى والأرامل والمساكين وأصحاب الهمم وكبار

السن وغيرهم، تمكينًا لهم في القيام بدور مجتمعي مُوازٍ للدور الذي تقوم به بقية فئات المجتمع، بلا سخرية ولا إزدراء، بل على وجه التكامل والمساواة والإنسانية.

٤. وفي شأن الرفق بالحيوان: فإن منهج السنة النبوية من خلال إعمال مبدأ «الإنسانية» قاطع بجمال هذه الشريعة الغراء وكمالها؛ حيث وضعت من قوانين الحماية ما يندر أن يتحقق في النظم الوضعية المعاصرة، وأن أقصى ما قررته هذه النظم من وجوه الحماية ما هو إلا قطرة من بحر الإنسانية التي جاء بها رسول الإنسانية رحمةً للعالمين.

إنسانية الإنسان في السنة النبوية . .
القيم والروابط الأسرية نموذجًا

د. ليلى أحمد سالم المشجري

أكاديـمية ربدان – دبي

الحمد لله رب العالمين، البَّر الرحيم، الجواد الكريم، والصلاة والسلام على رسول الإنسانية، المبعوث رحمة من الله لسعادة البشرية، عليه وعلى آله الأطهار، وأصحابه الأبرار، المهديين الأخيار خير من شرفت بهم الأمة المحمدية، وبعد؛ ففي البدء أتوجه بالشكر إلى القائمين على أمر هذه الندوة لطرح مثل هذه الموضوعات، وإثرائها، لتقيم الحجة على أن السنة النبوية ما تركت شيئًا يمس الإنسان بصفته إنسانًا إلا وقد استوعبته، وليشهد العالم أن السنة النبوية لم تكن قاصرة على الجزيرة العربية أو دائرة المجتمع الإسلامي فحسب، بل اتسعت لتشمل كافة حاجات المجتمع الإنساني في كل زمان ومكان.

إن الناظر في سنة النبي -ﷺ- يجد أنها أساس كل بناء أُسَرِيّ، واستقرار مجتمعي، فهي قوام كل اعوجاج، وصلاح كل فاسد؛ لأنها من نبع القرآن الكريم الذي جعله الله تعالى مصدر هداية العالمين، وقانون سعادة الأولين والآخرين، والتسليم بأحكامهما واجب.

لقد وجد العالم أطيب قوانين الإنسانية في كنف السنة النبوية التي جاء رسولها رحمة للعالمين، فوضع من خلال منهج النبوة والرسالة ما بها قوام الإصلاح الأسري وفق قوانين الإنسانية المنبثقة من رحم المودة والرحمة والسكن الآمن، والطمأنينة الراشدة التي استظل أفراد الأسرة بظلها، لينعموا بحياة ملؤها الدف والحنان والأمن والأمان.

وأظهرُ ما في هذا المنهج: أن العلاقات والروابط الأسرية في السنة النبوية تشريع متكامل الأركان، وضمان لحماية إنسانية الإنسان على مدى الدهر، وأن عناصر الإنسانية فيها ظاهرة للعيان في أكثر من وجه؛ فالمنهج النبوي في الإطار الإنساني يهدف إلى الإعلاء والتسامي بالغرائز والدوافع والشهوات، والسمو بها إلى المستويات الروحية والأنشطة الخلقية الموازية مع القيم الأخلاقية والدينية والاجتماعية. ويظهر هذا الوجه في جميع مراحل البناء الأسري، حتى في الأمور

المباحة في نطاق العلاقات الزوجية.

ويُلاحَظُ من خلال المنهج النبوي أن البيت الإسلامي ليس وجارًا تسكنه الثعالب، أو غابًا يضم بين جذوعه الوحوش. لقد وصف الله مكان المرأة من الرجل ومكان الرجل من المرأة بهذه الجملة الوجيزة «هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ»؛ إن هذه النماذج بين حياتين يكاد يجعلهما كيانًا واحدًا، وليست الغريزة هي الجامع المشترك، فالنزوة العابرة لا تصنع حياة دائمة.

لقد كان من أخلاقه أنه جميل العشرة دائم البِشْر، يداعب أهله ويتلطف بهم ويوسعهم نفقة، ويضاحك نساءه؛ ليقيم الدليل على أنه ليس حسن الخلق مع المرأة كف الأذى عنها بل احتمال الأذى منها والحلم عند طيشها وغضبها، اقتداءً برسول الله -ﷺ- فقد كانت أزواجه تراجعنه الكلام، وتهجره الواحدة منهن يومًا إلى الليل.

إن الناظر في هذا المنهج نظر الناقد البصير والباحث المنصف الأمين ليجزم بأن منهج الإنسانية في السنة النبوية كان واضح المعالم في بناء الأسرة، وذلك من خلال القيم والأسس والمبادئ الآتية:

- الدعوة إلى تهذيب الغرائز الإنسانية وإشباعها على الوجه المأمور به شرعًا، صونًا للأعراض من الامتهان أو الابتذال، وسد منافذ التهجم على الحرمات، وحياة النساء والفتيات حياة آمنة بعيدة عن غوائل الجريمة؛ لأنه إذا فسد الإنسان في قدرته ثم في أخلاقه ودينه، فقد فسدت إنسانيته وصار مسخًا على الحقيقة.
- تقرير حق المرأة في التحصن من موجبات الفتن عنصر أمن وأمان لها في نفسها وفي أسرتها وبيئتها، خاصة وأن سيطرة الغرائز الجنسية على السلوك والتقاليد عمل ممقوت شرعًا وطبعًا.

- إشباع الغريزة الإنسانية بالطرق المشروعة حق إنساني، تواترت النصوص الشرعية بوجوبه، سواء في حق الرجل أو في حق المرأة، صونًا للأعراض عن الامتهان أو الابتذال.

- إن التبتل في مصادمةً للغريزة الجنسية، وأن العبادات ليس المراد منها أن تصادم هذه الفطرة، بل وسيلة مرادة شرعًا لتهذيب الغرائز لا مصادمتها؛ ليحيا الإنسان آمنًا في كنف الآداب والتعاليم الشرعية التي جاء بها المبعوث رحمة للعالمين.

- تنظيم الحق في التعدد بما يضمن الموازنة بين الزوجة وبين حقها في التحصن، وأن عدم العدل في المبيت والمعاشرة بالمعروف جريمة في حق المضرور، وحرمان للمرأة من حقّها البدني الذي تحكمه غريزتها، أما القسمة القلبية فهذه أمور نفسية لها ضوابط أخرى.

- أهمية أن تدخل الفتاة حياتها الزوجية وهى راضية، وأبوها راض، وأمها راضية، وأهل زوجها راضون، فلا تكون بعد ذلك حياة منغصة مكدرة.

- تيسير الزواج الباكر هو الحل الوسط الذى يجب أن توجه الدعوة إليه للتعاون، حتى نضمن العفة النفسية والجسدية للأجيال المسلمة، وهو السبيل الأمثل لوقف تيار الإباحية الجنسية والقضاء على العلاقات غير المشروعة، وحسر موجة الأمراض النفسية والعقلية التي تهدد شبابنا المسلم، كما أنه حصان البيت المسلم، ورابط المجتمع بأوثق العرى.

- وجوب الاهتمام بالشباب من أولياء أمورهم ومن المربين والدعاة، والسعي إلى تحصينهم، وأن يبعدوهم، ويبعدوا عنهم كل ما شأنه إثارة شهواتهم ووقوعهم فيما حرم الله عليهم.

- وجوب مراعاة الكثير من جوانب الإنسانية في بناء العلاقة الزوجية، فأوجب

النبي ﷺ أن يكون النظر نحو الخامة (المعدن: الخامة التي تتوافر فيها الصفات الإنسانية الطيبة، بأن يبحث الرجل عن المرأة (الإنسان)، ويجب أن تبحث المرأة عن الرجل (الإنسان).

- الحق في التأديب حق شرعي، ولقد بينت السنة النبوية من القيود ما يحفظ للمرأة كرامتها وإنسانيتها. وأساس هذه السلطة أنها سلطة تهذيب وإصلاح وتوجيه، بالقدر الذي يحقق الاستقرار الأسري، ويحفظ ترابطها والاحترام المتبادل بين أفراد أسرتها، وهذا ما بينته السنة النبوية في أكثر من موطن؛ فعن عائشة -رضي الله عنها- قَالَتْ مَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ضَرَبَ خَادِمًا لَهُ قَطُّ وَلَا امْرَأَةً لَهُ قَطُّ وَلَا ضَرَبَ بِيَدِهِ شَيْئًا قَطُّ إِلَّا أَنْ يُجَاهِدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ..»؛ لما في ذلك من الاستهانة بالمرأة، وتحقيرها، وإنزالها غير المنزلة التي ارتضاها الله سبحانه وتعالى لها من الاحترام.

- العفو؛ فمن أخلاق رسول الله ﷺ في بيت النبوة مع أزواجه وخدمه عدم الضرب والاغتفار والسماحة؛ فعن أنس رضي الله عنه قال: «خَدَمْتُ النَّبِيَّ ﷺ عَشْرَ سِنِينَ، فَمَا قَالَ لِي: أُفٍّ، وَلاَ: لِمَ صَنَعْتَ؟ وَلاَ: أَلَّا صَنَعْتَ». فإذا كان هذا شأنه مع خادمه، فكيف يكون شأنه مع أهل بيته.

- الحق في التأديب لا ينبغي أن يكون ذلك على حساب حق المرأة في المعاشرة بالمعروف، لما يترتب عليه من ضرر نفسي بالنسبة إلى الزوجين، وقد يضيق الزوج بما وقع منه وما ترتب عليه من ضرر.

وفي الختام: لا أجد توصية أهم من التوصية بإخراج ما تنتهي إليه أعمال هذه الندوة إلى النور بكل لغات العالم؛ ليعرف العالم بأسره أن إنسانية الإنسان في السنة النبوية هي قانون حياة وسفينة نجاة، وصدق الله العظيم إذ يقول في وصف منهج خير البشرية والرحيم بالإنسانية: «وَما أَرْسَلْناكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعالَمِينَ».

اليوم الثاني: الجلسة العلمية الثالثة

المنهج النبوي في تعزيز إنسانية الإنسان للتعامل مع غير المقاتلين في الحروب

د. أنس سليمان المصري

الأردن

الحمد لله المغدق على الإنسانية بالنعم، مكرم البشرية بمحاسن القيم، والصلاة والسلام على كامل الأخلاق والشيم، أشرف الخلق من عُرب وعجم، وعلى صحابته المكللين بالكرم، السابقين بالعلم والفهَم، ومن تبعهم بالحق واعتصم، وارتضى لمنهجهم واحتكم، وبعد:

فقد شكلت إنسانية الإنسان في السيرة النبوية الركيزة الأساسية في التعامل والأحكام، وكانت أصلًا للتعايش مع الآخر على أساس العدالة والاحترام، القائم على حماية الدماء والأعراض والممتلكات؛ سواء على مستوى الأفراد أو الدول والمؤسسات، بطريقة يتساوى فيها الناس جميعًا أمام النظام في الإسلام، ما لم يظهر خلاف ذلك من ضرر أو عدوان، الأمر الذي يتساوى فيه المسلم مع غيره من الأحكام الموضوعة، بدفع ذلك العدوان بكل وسيلة مشروعة.

وقد برزت تلك الإنسانية في أعتى المواقف وأصعبها من الأحوال، لتكون معيارًا في التعامل مع العدو عند الحرب والقتال؛ إذ يخلو المفهوم الشرعي أو المنهج النبوي من المصطلحات القائمة على مبادئ النفعية، أو المصالح المادية والشخصية، أو الخسائر غير الأساسية والجانبية، فكل مخلوق محترم سواء أكان إنسانًا أم حيوانًا، أو حتى نباتًا أو جمادًا أو بنيانًا؛ الأمر الذي قد يُنظّر فيه أصحاب المبادئ المباينة للشريعة الإسلامية، لكنهم سرعان ما يغلّبون الأهداف المادية، أو عند التطبيق يفضلون المصالح الذاتية، فضلًا عن تخلي كثير من المناهج عن تلك المبادئ الإنسانية.

إلا أن الدارس للمنهج الرباني من خلال السيرة العملية للسنة النبوية، أو سيرة الصحابة الكِرام، أو حتى المبادئ الشرعية، يجد أن الثبات بين التطبيق والنظرية، ومراعاة إنسانية الإنسان حاضرة باطِّراد تشريعًا وترسيخًا، وملزمة بانضباطٍ تطبيقًا وتعزيزًا، ذلك أنه جعلها جزءًا من الإيمان الذي لا يكتمل الدين إلا فيه، ولا تصح العقيدة إلا بالتزام قوافيه؛ كالتزام الصلاة والزكاة والعبادات،

وما يماثلها من الواجبات، فحماها من التأثر بالأهواء الشخصية أو المصالح الفردية تطبيقًا، ولم يوكل للبشر شيئًا من مبادئها تشريعًا؛ لما يؤثر عنهم من قصور في الأفهام، واتباع للأهواء والأحلام.

وظهر ذلك من خلال الشخصية النبوية القدوة في تطبيق تلك الشرائع، وتوضيح نصوصها، أو من خلال التوجيه والتربية وترسيخ أصولها، وتعديل السلوك الإنساني عند الصحابة ﷺ، وتوظيف تلك المبادئ -باطراد- في حياتهم، مما جعل امتثالهم لتلك المبادئ حجة على البشرية على مدى الزمان، وإثبات قدرتها على احترام إنسانية الإنسان، وعدم إبقائها مجرد مثاليات تتغنى بها الأنظمة المعاصرة، ثم ما تنفك أن تخالفها عند أول مصلحة قاصرة، متذرعةً بأنها تفوق قدرات البشر، وتعيق طريق القوة والنصر.

فالمسالمة أصل مستصحب لكل الناس ابتداءً؛ مسلمهم وغير مسلمهم طالما تجنب اعتداءً؛ كالنساء والشيوخ والولدان، والعباد أو أصحاب العهد والأمان، وغيرهم من الأصناف والألوان، وما يلحق ذلك من النبات والحيوان والأنفس البريئة، وغيرها من الآلات أو البنى التحتية والبيئة.

ويُعالجُ ذلك الوضوح في المفاهيم الدقيقة كثيرًا من الإشكالات العميقة الواقعة من تلبس بعض أصحاب المناهج غير السوية، بحالات العدوان غير الشرعية، ومجانبة إنسانية الإنسان المنصوص عليها في السنة النبوية، دون مراعاة للقواعد الفقهية أو المصالح الربانية.

كما يدرأ ادعاء بعض المغرضين من أفراد ومؤسسات، الذين يتخذون تلك الممارسات، أو يفترون بعض الشبهات، ذريعة للطعن في حق المستضعفين بالدفاع عن مبادئهم المشروعة، واتهام مناهجهم بانعدام مراعاتها لحقوق الإنسانية الموضوعة.

ولم يقتصر ذلك المنهج عند حدود التشريع والتقعيد، بل فرض الرقابة الكافية لحماية مبادئ الإنسانية بالتحديد، من أية أخطاء في الاستدلال والتحقيق، أو انحرافات في الفهم، أو تجاوزات في التطبيق؛ من خلال التحري الحثيث المصاحب للتقويم والتعديل، وإعداد الكوادر والأنظمة الداعمة للوقاية والتأهيل؛ سواء من خلال مؤسسات ذات صفة رسمية، أو رقابة أفراد المسلمين الدينية، وحتى غير المسلمين من أصحاب المظالم الشرعية، مما يضمن الالتزام بالقدر الأعلى من الإنسانية في حياتهم، للتعامل مع غير المقاتلين في الحروب، مهما تعددت مسمياتهم.

وبذلك تتجلى أهمية ذلك المنهج تشريعًا وتصديقًا، ومدى الحاجة إلى قواعده امتثالًا وتطبيقًا، وضرورة الدعوة إليه تعليمًا وتحقيقًا، إضافة إلى دراسة مناهج الصحابة ﷺ الرائدة، والسلف الصالح من بعدهم في إقامة أركانه السائدة؛ ليكون منهلًا للمؤسسات التربوية، والدراسات العلمية، ومرجعًا للمناهج التعليمية، والقنوات الإعلامية، وطريقًا لإثبات مدى وسطية الإسلام وعدله، وسبب انتشاره ودوام فضله، والتزام أتباعه المبادئ الإنسانية، داعمًا لما اعترف به المنصفون من غير المسلمين، من مدى رقي مبادئ الإسلام في التعامل مع المخالفين.

هذا، وصلى الله على سيد الخلق، وإمام الغرب والشرق، محمد نبي العدل والحق، وعلى آله وصحبه أهل الأمانة والصدق، وسلم تسلمًا كثيرًا، والحمد لله رب العالمين.

اليوم الثاني: الجلسة العلمية الثالثة

تفعيل القيم الإنسانية من منظور السنة النبوية بين تنوع المقاربات ودعم المرجعيات

د. رقية بوسنان

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، الجزائر

إنَّ نصوص السنة النبوية وأدبيات السيرة تقدِّمُ مشروعًا متكاملًا يستوعب كل مجالات القيم الإنسانية، تؤطرها المقاربات المتخصصة في العلوم النفسية، والعلوم السلوكية، والعلوم القانونية، والعلوم الاقتصادية، والعلوم الإدارية. وكلها تعمل على التأثير في السياقات المختلفة على مستوى الدولة والأمة والعالم، وتحاول أن ترتقي بالممارسات الفردية إلى الوضع الذي تنتفي فيه كل السلوكيات السلبية؛ من كراهية وعدوان وتطرف وعنف ضد النفس وضد البشرية جمعاء، وتحيل إلى السلوكيات الإيجابية من التعاون والتآلف والسلام والمحبة والاحترام والعمل لصالح الإنسانية.

وتعمل نصوص السنة النبوية وفق المقاربة النفسية على توضيح قيمها وآثارها على المجتمع والحضارة؛ فتنطلق أولا من قيمتي الرضا والطمأنينة اللتين تواجهان كل أنواع الابتلاءات والمشكلات؛ يقول الرسول (ﷺ): «إِنَّ عِظَمَ الْجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ الْبَلَاءِ، وَإِنَّ اللهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ، فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السُّخْطُ»، كما تبعثان على الراحة والسعادة والحركية لارتباطهما بالعبادة التي أمرنا بها الرسول (ﷺ): «يا بلالُ، أَقِم الصَّلاةَ، أَرِحْنا بها»، ووجهنا إليها الذكر الحكيم، ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ﴾ (طه: ١٢٤).

كما تحيل قيمة الرضا إلى قيمة تقدير الذات وإثباتها، وهي القيمة التي تؤكد حضور الإنسان الفاعل في الكون وأنساقه. وتشير نصوص السنة إلى ضرورة العناية بها، حيث نجد من يجتهد في تقدير ذاته بعيدًا عن الغرور والكبر، فهذا عبد الله بن مسعود (رضي الله عنه) يثني على نفسه في قوله: «واللَّهِ لقَدْ عَلِمَ أصْحَابُ النَّبيِّ (ﷺ) أنِّي مِن أعْلَمِهِمْ بكِتَابِ اللَّهِ، وما أنَا بخَيْرِهِمْ»، كما يُثني الرسول (ﷺ) على أصحابه ويقدر ذواتهم وتوجهاتها، ويُثني على صفاتهم وخصالهم النبيلة، مثل قوله لأبي موسى الأشعري (رضي الله عنه): «يا أبا مُوسَى لقَدْ أُوتِيتَ مِزْمارًا مِن مَزامِيرِ آلِ داوُدَ»،

وقوله لأشج عبد القيس (رضي الله عنه): «إنَّ فيكَ خَصلتين يحبُّهُما اللهُ: الحِلمُ، والأَناةُ»، وتمثل قيمة الأمن النفسي صور الاطمئنان التي تنعكس على النفس في حد ذاتها كما تنعكس على المجتمع والدولة. وتتحقق مع الأمن كل مؤشرات الاستقرار الأخرى الاجتماعية والاقتصادية والتعليمية؛ «مَن أصبَح معافًى في بَدَنه آمنًا في سِرْبه عندَه قوتُ يومه فكأنَّما حيزَتْ له الدُّنيا»، ولتحقيق ذلك وجب صَوْنُها من الآفات والموبقات، «الحَلَالُ بَيِّنٌ وَالحَرَامُ بَيِّنٌ، وَبَيْنَ ذَلكَ أُمُورٌ مُشْتَبِهَاتٌ، لَا يَدْرِي كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ أَمِنَ الحَلَالِ هِيَ أَمْ مِنَ الحَرَامِ، فَمَنْ تَرَكَهَا اسْتِبْرَاءً لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ فَقَدْ سَلِمَ، وَمَنْ وَاقَعَ شَيْئًا مِنْهَا، يُوشِكُ أَنْ يُوَاقِعَ الحَرَامَ...».

وتوضح السنة النبوية في الإطار السلوكي أنواع الممارسات الإيجابية التي يجب أن يتحلى بها الإنسان؛ فالإيمان لا يتعلق بالاعتقاد فقط بل بالتطبيق. وقد اختزل حديث رسول الله (ﷺ) كل أنواع السلوكيات التي يجب أن يسلكها الفرد السوي؛ يقول رسول الله (ﷺ) «إنَّما بُعِثْتُ لأُتمِّمَ صَالِحَ الأخلاقِ». وفيما روي عنه: «مكارمُ الأخلاقِ عشرةٌ تكونُ في الرجلِ ولا تكونُ في ابنِه، وتكونُ في الابنِ ولا تكونُ في أبيه، وتكونُ في العبدِ ولا تكونُ في سيده، فقَسَمَها اللهُ عز وجل لمن أراد السعادةَ: صِدْقُ الحديثِ، وصِدْقُ البأسِ، وحِفْظُ اللسانِ، وإعطاءُ السائلِ، والمكافأةُ بالصنائعِ، وأداءُ الأمانةِ، وصِلةُ الرَّحِمِ، والتذمُّمُ للجارِ، والتذمُّمُ للصاحبِ، وإقراءُ الضيفِ، ورأسُهن الحياءُ»، ومن شأن هذه السلوكيات أن تُسْهِمَ في بناء مجتمعات سليمة.

ومن أهم قيم المقاربة السلوكية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ فهي جوهر السلوك السوي الذي يسعى إلى إصلاح الفرد والمجتمع، بعيدًا عن التعصب والانحراف، وهي القيمة التي أكدتها نصوص الوحيين في كم من موضع، فجاء في قوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ (آل عمران: ١١٠)، وفيما روي عن الرسول (ﷺ): «مَن

رَأَى منكُم مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بيَدِه، فإنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلسانه، فإنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِه، وذلكَ أضْعَفُ الإيمانِ». وتتبع قيمة الأمر بالمعروف قيمة التعاون والتكافل، ومن صورها ما شهده مجتمع المدينة من الصور المعبرة والراقية عندما آخى الرسول (ﷺ) بين المهاجرين والأنصار، بل تعدت قيم المؤاخاة إلى استيعاب المخالفين في العقيدة؛ حيث أبرمت المعاهدات التي تنظم المجتمع. ومن القيم السلوكية الرحمة ومظاهرها وتجلياتها؛ فقد كان الرسول (ﷺ) رحيمًا بأمته؛ بالمرأة والطفل والرفيق والصاحب، والحيوان والمكابر والمخالف.

وتتجلى قيم المقاربة القانونية في حفظ حقوق الإنسان وحريته من غير إفراط ولا تفريط، ولم تكن السنة النبوية لتقصِّر فيهما، فقد رغبت نصوصها في تحرير الرقاب؛ حيث اعتبرته عملًا ينقذ صاحبه من النار: «أيُّما امْرِئٍ مُسْلِم أعْتَقَ امْرَءًا مُسْلِمًا، اسْتَنْقَذَ اللَّهُ بكُلِّ عُضْوٍ منه عُضْوًا منه مِنَ النَّارِ»، وأقر الرسولُ (ﷺ) حرية تقرير المصير في سياسة المجتمعات بعد تنبيههم إلى ضرورة اعتناق الإسلام ولم يجبرهم على ذلك؛ ففي رسائله للملوك إقرار بذلك مع السمو في الخطاب والترغيب لا الترهيب: «مِنْ مُحَمَّد عَبْد الله وَرَسُوله إلَى هِرَقْلَ عَظيم الرُّوم سَلَامٌ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى، أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي أَدْعُوكَ بِدِعَايَةِ الْإِسْلَامِ، أَسْلِمْ تَسْلَمْ...».

وحرصتْ رسالة الإسلام بوحييها (القرآن والسنة)، على تكريم الإنسان بحفظ دمه ونفسه وعرضه وحياته العامة؛ فأقرت بتشريع العقوبات على اختلاف أنواعها؛ فعقوبة السرقة قطع اليد، وعقوبة الزنا الجلد، وشرع القصاص ردًا لمظالم العباد، «وأما الديوانُ الذي لا يترُكُ اللهُ منه شيئًا؛ فمظالمُ العبادِ بينَهم القصاصُ لا مَحالَةَ»، ودعت السنة إلى حماية خصوصيات الأفراد، ويتجلى ذلك بوضوح في قوله (ﷺ): «يا مَعْشَرَ مَن أسلم بلسانه ولم يَدْخُلِ الإيمانُ قلبَه، لا تُؤْذُوا المسلمينَ، ولا تُعَيِّرُوهم، ولا تَتَّبِعُوا عَوْراتِهم، فإنه مَن تَتَبَّعَ عَوْرَةَ أخيه المسلمِ، يَتَتَبَّعِ اللهُ عَوْرَتَه ومَن يَتَتَبَّعِ اللهُ عَوْرَتَه يَفْضَحْهُ ولو في جوفِ بيتِه».

وتتعلق المقاربة الاقتصادية من منظور السنة النبوية من مؤشرات مختلفة؛ منها تحريم الغش في البيع، فجاء في الحديثين: «ليس منا من غش»، و«الْبَيِّعَانِ بِالْخِيَارِ مَا لَمْ يَتَفَرَّقَا، فَإِنْ صَدَقَا وَبَيَّنَا بُورِكَ لَهُمَا فِي بَيْعِهِمَا، وَإِنْ كَذَبَا وَكَتَمَا مُحِقَتْ بَرَكَةُ بَيْعِهِمَا». ومنها، التوافق والرضا: «إِنَّمَا الْبَيْعُ عَنْ تَرَاضٍ»، وتحريم الربا: «لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) آكِلَ الرِّبَا، وَمُوكِلَهُ، وَشَاهِدَيْهِ، وَكَاتِبَهُ». وتحريم التطفيف في الكيل والميزان في صريح الآية: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝٣ أَلَا يَظُنُّ أُو۟لَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۝٤ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۝٥ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ (المطففين: ١-٦). وفي الحديث «وَلَمْ يَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ، إِلَّا أُخِذُوا بِالسِّنِينَ، وَشِدَّةِ الْمُئُونَةِ، وَجَوْرِ السُّلْطَانِ عَلَيْهِمْ».

وتتلخص قيم المقاربة الإدارية في احترام الوقت وحسن إدارته؛ فـ«عَنْ عَائِشَةَ -رضي الله عنها-: أَنَّ النَّبِيَّ (ﷺ) كَانَ يَحْتَجِرُ حَصِيرًا بِاللَّيْلِ فَيُصَلِّي عَلَيْهِ، وَيَبْسُطُهُ بِالنَّهَارِ فَيَجْلِسُ عَلَيْهِ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَثُوبُونَ إِلَى النَّبِيِّ (ﷺ) فَيُصَلُّونَ بِصَلَاتِهِ حَتَّى كَثُرُوا، فَأَقْبَلَ فَقَالَ: يَا «أَيُّهَا النَّاسُ، خُذُوا مِنَ الْأَعْمَالِ مَا تُطِيقُونَ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَمَلُّ حَتَّى تَمَلُّوا، وَإِنَّ أَحَبَّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ مَا دَامَ وَإِنْ قَلَّ»، كما تشمل قيمة الإنجاز التي تدل على الاستمرارية وتوقع النتائج الإيجابية: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَغْرِسُ غَرْسًا، أَوْ يَزْرَعُ زَرْعًا، فَيَأْكُلُ مِنْهُ طَيْرٌ أَوْ إِنْسَانٌ أَوْ بَهِيمَةٌ، إِلَّا كَانَ لَهُ بِهِ صَدَقَةً». وتؤكد قيمة الإتقان: «إِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يُحِبُّ إِذَا عَمِلَ أَحَدُكُمْ عَمَلًا أَنْ يُتْقِنَهُ»، وغاياتها النهائية هي التقييم ومراجعة السلوك: «يَا مَعْشَرَ مَنْ آمَنَ بِلِسَانِهِ، وَلَمْ يَدْخُلِ الْإِيمَانُ قَلْبَهُ، لَا تَغْتَابُوا الْمُسْلِمِينَ، وَلَا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ، فَإِنَّهُ مَنِ اتَّبَعَ عَوْرَاتِهِمْ يَتَّبِعُ اللَّهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ يَتَّبِعِ اللَّهُ عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ فِي بَيْتِهِ».

لا يمكن بأي حال من الأحوال أن تفعل هذه القيم لتنتشر وتصبح فلسفة وسلوكا للحياة اليومية، إلا إذا تم تدعيمها من المؤسسات الاجتماعية المختلفة. وقد اختزلتها الورقة البحثية في الأسرة والمسجد، والمؤسسات الخيرية، ووسائل الاتصال؛ فالسنة النبوية تؤكد مسؤولية الأسرة على الفرد وما يعتنقه من قيم؛ فجاء في الحديث «كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِه، وَالأَمِيرُ رَاعٍ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِ بَيْتِه، وَالمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى بَيْتِ زَوْجِهَا وَوَلَدِه، فَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِه». كما تؤكد ضرورة إشراك المسجد في تفعيل القيم المختلفة. وقد بادر الرسول (ﷺ) إلى بناء المسجد لتظهر فيه شعائر الإسلام التي طالما حوربت، ولتقام فيه الصلوات التي تربط المرء برب العالمين، وتنقي القلب من أدران الأرض، ودسائس الحياة الدنيا، وكان فيه يلتقي بالوفود، والغرباء ليرشدهم إلى قيم هذا الدين الحنيف.

وتُعدُّ المؤسسات الخيرية من أهم المؤسسات لنشر القيم وتعزيزها في السلوك الفردي والجماعي، ومن أوجه الخير الصدقة؛ فقد جاء في الحديث: «مَا مِنْ مُسْلِم يَغْرِسُ غَرْسًا، أَوْ يَزْرَعُ زَرْعًا، فَيَأْكُلُ مِنْهُ إِنْسَانٌ، أَوْ طَيْرٌ، أَوْ بَهِيمَةٌ، إِلَّا كَانَتْ لَهُ صَدَقَةٌ». وعندما يتحول فعل الغرس إلى عمل جماعي خيري، وتشرف عليه المؤسسات، يكثر وينفع، ومن أوجه الخير أيضًا كفالة الأيتام؛ «أَنَا وَكَافِلُ اليَتِيم فِي الجَنَّة». والقيام على أمر الأرامل والمساكين «السَّاعِي عَلَى الأَرْمَلَة وَالمِسْكِينِ، كَالمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّه، أَوِ القَائِمِ اللَّيْلَ الصَّائِمِ النَّهَارَ». ومنها أيضًا وقف في المرافق التعليمية والدينية كالمدارس، والمساجد والاجتماعية كالملاجئ والمستشفيات؛ إذ عَدَّ الوقف من الصدقات الجارية، فجاء في الحديث: «إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ...».

وتقوم وسائل الاتصال بمهمة النشر والإبلاغ، وهي الوعاء الأمثل الذي ويشيع القيم وينشر الوعي بضرورة امتثالها، وقد كانت الخطابة من أهم الوسائل

الاتصالية؛ فهي تجمع بين خصائص كل الوسائل الحديثة، وظفها الرسول (ﷺ) لتوجيه كل فئات المجتمع فخطب في قومه وصحبه والجند والأمة ليضع دستورًا يسوس به الحياة؛ فجاء هذا الخطاب الموجز ليختزل مشهد المجتمع والأمة والحضارة القائمة على القيم الإنسانية «إنما المؤمنون إخوة، ولا يحل لامرئ مال إلا عن طيب نفس منه، ألا هل بلغت؟ اللهم أشهد! فلا ترجعُنَّ بعدي كفارًا يضرب بعضكم رقاب بعض؛ فإني قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لم تضلوا بعده؛ كتاب الله، ألا هل بلغت؟ اللهم اشهد!. أيها الناس: إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، كلكم لآدم، وآدم من تراب، أكرمكم عند الله أتقاكم، وليس لعربي على عجمي فضل إلا بالتقوى، ألا هل بلغت؟ اللهم اشهد! قالوا نعم، قال فليبلغ الشاهد الغائب».

وتؤكد الورقة على أن السنة النبوية مدرسة قيمية بامتياز، تنطلق منها جميع المقاربات لتصنع الإنسان المستقيم والفاعل في التاريخ والحضارة.

والله الهادي والموفق

مبدأ إنسانية الإنسان من خلال الأدب المفرد للإمام البخاري – موازنة تحليلية بين المعالجة النبوية والمقاربات الفلسفية الحديثة

د. أحمد مجيد علي ذيب

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – الجزائر

ظهرت العناية بموضوع النزعة الإنسانية في الثقافة الغربية لأول مرة في القرن التاسع عشر؛ حيث استعملت في مجال التربية بوصفه رافدًا قيمي يهدف إلى تكوين الناشئة اعتمادًا على الثقافة والآداب القديمة. وعلى الرغم من الآمال الكبار التي رافقت ظهور هذا المشروع الواعد، إلا أن الاختبارات الفعلية خيبت الظن، وزيفت الحسبان، ونبهت الإنسانية على ما ينطوي عليه هذا التوجه الجديد من تطرف واختلال، الأمر الذي أدى إلى ظهور تيار فلسفي جديد - ردَّ فعل معاكس للاتجاه الأول - يدعو إلى التغرب عن الذات، تحت شعار «موت الإنسان» بدلًا من «أصالة الإنسان».

وإذا نحن عَدَوْنا هذا الصراع الحداثي وجدنا أن الإسلام - بوصفه دينًا يمتلك رؤية شاملة للكون والوجود والإنسان - جعل من الإنسان محورًا لتفكيره وغاياته وقيمه العليا.

ومن أجل ذلك يجيء هذا البحث كاشفًا عن المعالجة الإسلامية لمبدأ إنسانية الإنسان، اعتمادًا على أحد أهم المدونات الحديثية، وهو كتاب الأدب المفرد للإمام البخاري - رحمه الله -، مع عقد موازنات تحليلية بين الرؤية الإسلامية و المقاربات الفلسفية المعاصرة.

والقول الجُمَلي في وصف هذه الورقة يدور حول ستَّ أفكار أساسية:

الفكرة الأولى: الإنسان بين المدلولين الإسلامي والغربي:

تعني الإنسانية في الاصطلاح الإسلامي: مجموعة السلوكيات والصفات القائمة على احترام قيمة الإنسان وكرامته.

فمحلّها: عموم الإنسان، بغض النظر عن دينه ومعتقده ولونه وعرقه

وأداتها الكينونة والتجرد (الاستخلاف) على حساب أسلوب التملّك

وغايتها: تحقيق مرضاة الله تعالى.

أما في التداول الغربي فهي مجموعة من السلوكيات أو طريقة للحياة متمركزة حول الكرامة الأساسية وقيمة الإنسان وقدرته على تحقيق الذات من خلال العقل والمنهج التجريبي؛ فهي:

- تعلي الإنسان على حساب الإله.
- وتعلي العقل على حساب الوحي.
- وتعلي الدنيا على حساب الآخرة.

وخالص القول في هذه الفكرة: إن مفهوم «الإنسانية» في الأدبيات المعاصرة ليس سوى مفهوم / شعار وجداني إيديولوجي فضفاض يقوم على تمجيد الإنسان الأبيض فقط؛ فهي كما قال ابن نبي: «إنسانية أروبية في الداخل، وإنسانية استعمارية في الخارج».

الفكرة الثانية: إنسانية الإنسان بين التكريم والتأليه:

من النصوص الدالة بوضوح على شرف الخلق الإنساني ما رواه البخاري في الأدب المفرد بسنده، عن أبي هريرة ﷺ قال: قال ﷺ: «لا تقولَنَّ قبَّحَ اللهُ وجْهكَ ووجهَ من أشبهَ وجهَك فإنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ خلقَ آدمَ ﷺ على صورتِه».

ودون الدخول في تفصيلات المتأولين من أهل العلم، فإن المعنى المؤكد الذي يفيده هذا الحديث هو التنبيه بهذا المخلوق الذي خصه الله بعنصر شريف في تكوينه، هو عنصر الروح الذي أضافه إلى نفسه تعريفًا بشرفه وقدسيته؛ فهي إضافة تحمل معاني الشرف والرفعة. هذه هي صورة الإنسان في المرجعية الإسلامية؛ فهو تكريم من غير تقديس ولا تأليه. أما المذاهب الإنسانية الحديثة فقد أقامت بناء ها الفكري على نظرية أصالة الإنسان «أومانيسم»؛ أي نظرية تقديس

الإنسان. فالإنسان هو المقابل الأرضي للإله كما يقول «نيتشه».

الفكرة الثالثة: الإنسان بين القيم الأخلاقية والمنفعة الذاتية:

نلاحظ أن أول حديث افتتح به البخاري كتابه «الأدب المفرد» كان تحت مسمى «الصلة»؛ ضمنه جملة من الأحاديث الدالة على أعظم الصلات وجميل المبرات، منها: الأمر بصلة الأم المشركة، صلة الرجل لأهل ود أبيه، وصلة ذي الرحم الظالم، وإعالة الأخوات وإعالة اليتامى والوصية بالجار، و إجلال الكبير وذي الشيب وإكرامها، و معانقة الصبي، و عيادة المشرك، وأن الود يُتوارث.

إن هذه العناوين الحديثية تفصح بنفسها عن مدى اهتمام الإسلام بتهذيب النزعات الفردية وتوثيق العلاقات الأسرية بالتراحم والتزاور، وتقوية أواصر المحبة الصادقة الخالية من شوائب المنفعة الذاتية وشوائن المصلحة العاجلة؛ كل ذلك تحت عنوان «البر والصلة»، وهي دائرة واسعة تقضي بالإحسان إلى فئات متعددة: القريب والبعيد، الكبير والصغير، الذكر والأنثى، والمسلم والكافر؛ إدلالاً على محل إخاء مستحكم وإيثار غير متوارث.

وبهذا وذاك الذي بعده، يصح القول: إن إقامة الإنسانية على غير أرضية الإيمان يجعل منها إنسانية نفعية براغماتية محدودة النفع، وقد أدرك الإلحاد الجديد هذا المأزق الأخلاقي فاعترف ريتشارد دوكنز بالصعوبة الكبيرة أمام تأسيس قيم على أرضية غير دينية.

الفكرة الرابعة: الإنسان بين الشكل والروح:

مما يلفيه الناظر في أحاديث الأدب المفرد العناية التامة بالروح الإنسانية؛ فالإنسان في الفهم الإسلامي عنصرٌ روحي يتألف من الروح والشكل، وليس عنصرًا بيولوجيًا واجتماعيًا فحسب.

وإذا أردنا أن نمثل لهذه الرعاية المركبة من أحاديث الأدب المفرد وجدنا أن أغلب الأدعية النبوية في هذا الكتاب تشي بعناية الإسلام بالروح الإنسانية واحتفائها. أما فلسفة الإنسان في الحضارة الغربية فتنطلق من التسوية بين الإنسان والمادة، وبهذا أصبح الهدف الوحيد هو البقاء، وآلياته الأساسية هي: الذكاء والقوة؛ فهي نظرة اختزالية للوجود الإنساني ترفض الحقيقة الروحية والمعنوية وتنكرها، وتختزل الوجود الإنساني في الاستهلاك والاحتفاء بالرفاهية.

الفكرة الخامسة: الإنسانية بين الجزاءين الدنيوي والأخروي:

من تقرى أحاديث الأدب المفرد لا يفوته ملاحظة الارتباط الوثيق بين أغلب موضوعاته - من عبادات ومعاملات مالية - بالجانب الأخلاقي الأخروي، فليست الإنسانية في هذه الأبواب وغيرها لتحقيق الذات والرضا عن الذات فحسب، وإنما هي إلى جانب ذلك أيضًا - استرضاء الله تعالى واستعدادٌ للقائه. وهنا يتبين الفرق بين حقيقة الإنسانية في الدين الإسلامي وبين التداول الإنساني الجديد الذي يختزل العمل الإنساني في الجزاء الدنيوي المباشر.

ولقد رفعت المذاهب الإنسانية شعار تحقيق رفاهية الحياة ورفع الكدح والمعاناة عن كاهل البشرية، مغريًا الإنسان بغد أفضل، وبمستقبل أكثر إشراقًا تتحقق فيه الأمنيات التي باتت بالأمس مستحيلة، وهو ما يمكن تسمته بـ «الفردوس الأرضي»، وكان هذا هو القناع المبهر الذي قدمت الإنسانية الجديدة نفسه من خلالها، لكنها أخفت تحت هذا القناع وجهها القميء، المتمثل في انتهاك كرامة الإنسان وتحويل الإنسانية - بتعبير كانط - من الكرامة إلى التشيؤ.

الفكرة السادسة: الإنسانية بين الاطراد والانتقائية:

يتبنى الإسلام نظرة المساواة بين كافة البشر؛ حيث يعدُّ البشر جميعًا مُتساوِينَ في قيمتهم الإنسانية، ويؤكد أن العلاقات التي يجب أن تسود بينهم هي

المحبة والحنو والرحمة والتعاون، وأن الهدف الذي يجب أن يعمل له الجميع هو تحقيق الإنسان السويّ؛ ففي الأدب المفرد عن أبي شريح الخزاعي أن النبي ﷺ قال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحسن إلى جاره»؛ ويشمل اسم الجار المسلم والكافر والعابد والفاسق والنافع والضار والقريبّ والغريب والبلديّ والأجنبي. بينما تقرر الإنسانية الغربية التفاوت الطبيعي بين الأجناس والأعراق. وهذا أمر يكشفه واقع الإنسانيين أنفسهم وطريقة تعاملهم مع غيرهم، ومما يجلي ذلك مشاهد التمركز الغربي حول ذاته وتاريخه، والتناقض الكبير بين الدعاوى المثالية والواقع الصادم.

هذا، وإن البحث إذ يسجل هذه الافكار، فإنه يوصي بالآتي:

- وضع مقرر تعليمي تحت مسمى «إنسانية الإنسان»، تُستقى مادته من نصوص قرآنية وأخرى حديثية، إلى جانب تطبيقات ميدانية عملية.
- إنجاز المزيد من البحوث والدراسات حَوْل مبدأ إنسانية الإنسان في السنة النبوية، بغرض إعطاء صورة أشمل لمكانة الإنسان في شريعتنا الإسلامية.

هذا ما تيسر إيراده، وأمكن إعداده، ووفق الله لكتابته.

وصل اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.